

النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس 1900-1956

د/ خير الدين شترة ، قسم التاريخ ، جامعة أدرار

مقدمة:

تمثل نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حقبة بالغة الأهمية تتميز بأزمة عميقة في الفلك الثقافي الجزائري..، كانت السنوات الأولى من القرن العشرين شاهدة على تأرجح المجتمع الجزائري بعد أن نخره التطور الاستعماري، مجتمع يحكمه قانون التبعية الأهلية، مجتمع مفكك البني عاجز عن المقاومة الفعالة لهيمنة سلطة الدولة الاستعمارية، وتظهر العناصر الأولى من أنتلجنسيا جديدة ترتب جزئيا على الأقل في الجهاز الثقافي الاستعماري يتنازعها الغرب الذي يفرض نفسه ماديا، والفكر الإسلامي الذي لازال الحرك للمجتمع لذا فهي أنتلجنسيا هشة حاولت استبدال المقاومة الجريئة في رفضها القبول بالأمر الواقع بنمط جديد من المواقف والتصرفات وسلوك موارد يفضي بالتخلي عن ساحة المواجهة المباشرة للاستعمار ونقل الصراع إلى الجبهة المطاطة حيث استبطن القيم الاستعمارية ثم نقلها ونشرها لإقامة مجتمع جديد⁷¹، وكانت الصحافة أولى السبل التي سلكها أصحاب هذا الاتجاه للتعبير عن آرائهم وأفكارهم.

وقد كان للصحف التونسية وغيرها من المنشورات الوافدة على الجزائر من تونس الأثر البالغ على الحياة الثقافية والأدبية بها؛ وذلك من خلال ما كانت تقوم به بعض الصحف من متابعة مسيرة النهضة الأدبية في الجزائر، وفتح صدرها لبعض النخب الجزائرية لينشروا بعض أعمالهم ببعضها (كالعصر الجديد والنهضة والزهرة، والوزير، والصباح..) وغيرها.

ويؤكد ابن باديس على عمق هذه الأواصر الأخوية بين الجزائر وتونس فيقول: «إن الروابط عديدة بين الجزائر وتونس بل بين المغرب العربي بصفة عامة.. كالروابط العلمية والسياسية التي ذاقت بها هذه حلاوة الاستقلال تحت ظل الإسلام والتاريخ يشهد بذلك..»⁷²، وبفضل ما أتاحت الصحف التونسية من مجالات للتعبير والكتابة بالنسبة للنخب الجزائرية ظهرت النواة الأولى للأدباء والكتاب والشعراء الذين كانت ولادتهم الأدبية في الصحف والمجلات التونسية التي تبنت سر إنتاجهم المبكر وتشجيعهم على الكتابة وتحريضهم بكل الوسائل على تناول القضايا الوطنية الجزائرية والتعريف بنضال شعبهم، بل إن دور النشر التونسية كان لها الفضل الأول في تبني نشر هذا الإنتاج مثلما فعلت مع الطلبة الزيتونيين أمثال: رمضان حمود صاحب كتاب بذور الحياة، وأبو اليقظان في ديوانه، ومحمد الهادي السنوسي صاحب كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر (جزءان)، وعبد المجيد الشافعي وصاحب كتاب الطالب المنكوب، وعبد الله الركبي صاحب كتاب نفوس

⁷¹ - عوض (صالح)، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، ج2، ط2، الجزائر: دار دحلب، 1992م، ص215.

⁷² - بن سميعة (محمد)، محمد العيد آل خليفة، الجزائر: م، و، ك، 1989م ص.ص(59-60).

ثائرة، ونور الدين بوجدره صاحب كتاب الحريق، ومحمد الصالح الصديق وكتابه أدباء التحصيل... وسائر المطبوعات الجزائرية التي ظهرت بتونس خلال النصف الأول من القرن العشرين ففي الصحف والمجلات التونسية نجد آثاراً أدبية وفكرية لأبرز أعلام الأدب والفكر في الجزائر، مثلما نجد كتابات أخرى لأدباء وكتاب ومفكرين جزائريين كانوا درسوا بالزيتونة وأقاموا بتونس وساهموا بالإنتاج في فترة ما ثم أفلعوا عن الكتابة فبقي هذا الإنتاج مغموراً في هذه الصحف ومجهولاً من قبل الدارسين الجزائريين.⁷³

وعلى صفحات الجرائد والمجلات التونسية انطلقت النخبة الجزائرية تعاني معطيات الحياة الجديدة وتصور قضايا الواقع وتعبّر عن تطلعات المجتمع، فكان العالم الذي يستولي على اهتمامها، ويغلب على إنتاجها إنما هو عالم الوطن، وعالم الأمة، وكل ما يتصل بهما ويتفرّع عنهما من قيم ومقومات وقضايا واهتمامات وكان صوت الوجدان الجماعي لدى هذه النخبة أقوى من أي صوت غيره في نفوسهم مما جعلهم يستخرون أعمالهم للنهوض بالواقع والتعبير عن قضاياها، ويمكن تلخيص ذلك في هذه المحاور:

- الانصراف عن الأغراض الذاتية الضيقة والالتزام بالتعبير عن الوجدان الجماعي للأمة.
- الاندماج في الواقع الوطني والعمل من أجل النهوض بالمجتمع وترقيته وإصلاح حاله: عقيدة وفكراً علماً وعملاً.
- الحض على الاستمرار في حركة الجهاد لإفشال الخطط التغريبية إزاء عناصر الهوية الحضارية المعتدى عليها والمنافحة عن الحقوق الوطنية.
- مواكبة مسيرة العمل الوطني والثوري، وحث الشعب على الالتفاف حولها وتصوير ملامحها والتلويح ببشائر النصر على فلول المعتدين.
- التعاطف مع قضايا الأمة العربية الإسلامية، والمشكلات الإنسانية، ويمكن أن نميز في هذه الاهتمامات جملة من المضامين من بينها: البعد الديني، البعد الوطني، البعد الاجتماعي والثوري البعد القومي والإنساني.

حتى الطالب الجزائري في تونس لم يكن يكتفي بدور الطالب الذي يتلقى الدرس ثم يتأبط كتبه صوب مسكنه، وإنما يساهم مساهمة فعالة فيما كانت تزخر به تونس في أعقاب الحرب وبعد رفع الحصار على الصحافة سنة 1920م من نشاط فكري وديني وسياسي⁷⁴، وهكذا فإننا نلمس من الهجرة: هجرة بالفكر والرأي والقلم، وهجرة إلى طلب المعرفة والعلم ولكل منهما وسطها الثقافي ومجالها وصلاتها، كان المهاجرون بالرأي يرتبطون بالصحافة التونسية من خلال المراسلات والعلاقات الشخصية التي نشأت عن هذه الرسائل

⁷³ - الجابري (محمد الصالح)، "التواصل الثقافي والفكري بين تونس والجزائر"، دائرة المعارف التونسية، الكراس 03، تونس: بيت الحكمة، 1992م، ص 110.

⁷⁴ - الخرفي (صالح)، شعراء من الجزائر، ج1، معهد البحوث والدراسات العربية، 1969، ص 30.

كالعلاقة التي ربطت بين عمر بن قذور والشيخ الطيب بن عيسى صاحب جريدة المشير والتي نجد إشارات لها في بعض رسائل بن قذور أو العلاقة التي ربطت بين الطيب العقبي وأحمد حسين المهيري صاحب جريدة (العصر الجديد)... وذلك بالإضافة إلى علاقات أخرى كثيرة نجد لها صدى في الكلمات الودية والشخصية التي تظهر في هذه المراسلات.⁷⁵

وما من شك في أن هذه المراسلات أدت دوراً خطيراً سواء في مجال الإعلام بأخبار الجزائر التي كان التونسيون والجزائريون المهاجرون يتشوقون إليها، أو في مجال ما تضمنته من معلومات عن الوضع وفضح الأساليب الاستعمارية، وكذلك كان لها دور في أن تراثاً أدبياً هاماً وجد مجاله إلى الصحافة التونسية من قصص، وشعر ومقالات ربما كان بعضه مهدداً بالضياع والتلاشي، أما الهجرة الثانية فهي هجرة الطلبة الذين كانوا يأتون للدراسة بجامع الزيتونة ثم يُغريهم الوسط الأدبي والثقافي بالمساهمة في النشاطات الفكرية فيكتبون المقالات والقصائد ويُشاركون بفعالية في الحياة الأدبية، وهؤلاء هم الذين أصبحوا فيما بعد أبرز صحافيي الجزائر وأهمهم، وقد تخرّج معظمهم من الزيتونة، ومارسوا خطوتهم الأدبية الأولى بالصحافة التونسية.

ومن حصاد هاتين الهجرةتين استطاعت الصحافة والمجلات التونسية أن تحتفظ طيلة أكثر من نصف قرن بتراث أدبي وفكري زاخر وبصفحات مشرقة ومُشرّقة من العمل الوطني المشترك الذي ساهم فيه الجزائريون المهاجرون مع أشقائهم التونسيين، وكان له التأثير المباشر في وحدة الحركة الوطنية المغربية، وفي تحقيق الغايات التي كانت تهدف إليها هذه الهجرة.⁷⁶

1 - النضال الصحفي خلال الفترة (1900-1920)م

لم يشتغل الخضر حسين⁷⁷ بالصحافة كمهنة يرتزق منها ولا انقطع لها كما ينقطع الصحفي المحترف ولكنه مارسها كرسالة ومنبر للتعبير عن مذهبه في الإصلاح وآرائه في الدين والحياة والفكر ولطول ممارسته لها وتحمله أعباء مسؤوليات كثيرة فيها منذ فجر شبابه إلى آخر لحظة من حياته وجب اعتباره صحفياً مناضلاً ورائداً من رواد الصحافة التونسية، فبالإضافة إلى ما كتبه ونشره من مئات المقالات والفصول والأبحاث في مختلف الجرائد التونسية...

⁷⁵ - الجابري (محمد الصالح)، الأدب الجزائري في تونس، ج1، تونس: بيت الحكمة، 1991م، ص 21.

⁷⁶ - نفسه، ص. ص(22-25).

⁷⁷ - **الخضر حسين** «1874-1958» من أصل جزائري، أسرته ترجع إلى بيت العمري بطولقة، كان والده قد رحل في منتصف القرن 19م إلى بلدة نفطة رفقة صهره مصطفى بن عزوز، وهناك ولد الخضر ثم انتقل مع والده إلى تونس العاصمة أين حصل على شهادة التطويع من جامع الزيتونة، تولى القضاء في بنزرت حتى سنة 1904م، درس بجامع الزيتونة والخلدونية، هاجر قسراً إلى دمشق ثم مصر عام 1922م، وهناك نال عضوية هيئة كبار علماء الأزهر، اختير عام 1953 إماماً لمشيخة الأزهر، وبقي فيها إلى أن وافته المنية.

أسّس عدداً من المجلات وساهم في تحرير كثير غيرها وكان بذلك مؤسساً للصحافة التونسية وصاحب امتياز ومحرراً ورئيس تحرير.⁷⁸

فلقد أسّس في سنة 1904م، وهو في جامع الزيتونة مجلة "السعادة العظمى" وهي أول مجلة تأسست وصدرت في تونس وقد جعلها نصف شهرية وذات اتجاهين ديني وأدبي ولئن لم يصدر منها سوى (21 عدداً) فإن مجموعتها تعتبر مصدراً هاماً لتاريخ الصحافة العربية وطليلة رائدة للإصلاح وبذوره الأولى بتونس⁷⁹، قال عنها الشيخ بن عاشور عند صدورهما منتشياً بها، ومنتقداً لمعارضيهما قائلاً: «بقي معارضو الدعوة الإصلاحية متطلعين إلى الوفاء... بتكوين نشرة تناقش في المباحث الدينية على قاعدة التزام المذهب الذي عليه جمهور العلماء في مسائل أصول الدين الاعتقادية... وكان الحرص على محاكاة مصر في وسائل فُضّتها، يحسن لأهل العلم إيجاد مجلة علمية بتونس... حتى انتدب لسد ذلك العوز نابغ من شباب شيوخ الزيتونة هو الشيخ محمد الخضر حسين، فأصدر في شهر محرم سنة 1322هـ/1904م مجلة علمية سمّاها السعادة العظمى ابتهجت لصدورها جميع الأوساط العلمية والفكرية، ثقة بعلم صاحبها، وتحقيقه، وصلابة عوده في أمور الدين مع ما اشتهر من تأييده لحركة المصلحين... فكانت هذه المجلة مركزاً للحركة الفكرية وقوة توجيه متصلة بجميع أهل الثقافة العربية...»⁸⁰.

وظهرت المجلة بقطع من الورق الجيد مقاس (17-24) وبعدد (16) صفحة، وقد جاء تحت اسم المجلة ما يلي: «مجلة علمية أدبية إسلامية تصدر غرة كل شهر عربي وفي سادس عشر منه»⁸¹، كان صاحبها يُصدرها من منزله نهج رحبة الغنم (معقل الزعيم حالياً) بالعاصمة، أما عن محتواها فهو كما أشار العدد الأول في افتتاحيتها التي استغرقت صفحات كامل العدد، تقتصر على بعض عناصره «...ثفاتها مطالعياً (كذا). بمقالة تتخذ مظهراً لبعض مطالب تقتضيها المحافظة على حياة مجدنا القديم، ويتلوها باب نعتبره معرضاً لعيون مباحث علمية، ولا نريد إلا انتظامها في ماهر التحقيق، بما يتخللها من الأفكار السامية يتلوها باب ثالث تنشر فيه من الآداب ما يكون مرفاة للتقدم في صناعتي الكتابة والشعر لا يتمتع بها عند المسيرة، ثم ترقص كأضغاث أحلام.. ونقص في هذا الباب من التاريخ أحسن القصص ويتصل بذلك باب رابع في الأخلاق، ويلي باب آخر للأسئلة والاقتراحات ثم خاتمة عنواها مسائل شتى»⁸².

⁷⁸ - كرو (محمد أبو القاسم)، محمد الخضر حسين، تونس: دار المغرب العربي، 1973م، ص 62.

⁷⁹ - الخري (صالح)، الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1977م، ص 62.

⁸⁰ - علي الرضا (الحسيني)، كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين، تونس: الدار الحسينية للنشر، 1998م. ص.ص (77-78).

⁸¹ - السعادة العظمى، تونس: مطبعة الرايد التونسي / 1904م (25سم).

⁸² - نفسه، راجع أيضاً: - Centre de documentation National, B2-81.

لقد ساهمت السعادة العظمى برغم عمرها القصير، بدور فعال في الحياة التونسية وكان لها أثر محمود في مطلع القرن العشرين على الحركات الفكرية والدينية والاجتماعية، ورغم نزوعها إلى الاعتدال - كشأن صاحبها دائماً - فقد جُوهت بمعارضة عنيفة من طرف شق الجامدين والمحافظين من شيوخ الزيتونة وأمثالهم في الحياة العامة يومئذ⁸³، ولعل أهم ما عنيت به المجلة تأييدها للإصلاح، ودعوتها لتغيير مناهج التعليم الزيتوني ومطالبتها بإدخال تدريس الأدب واللغة فيه ونشرها لأولى محاولات التجديد في الشعر ودفاعها عن اللغة العربية، وإذا سلمنا بما يقول الشيخ محمد الفاضل بن عاشور عنها فإنها كانت لسان حال جماعة من الشيوخ والعلماء الميالين إلى الاعتدال في تحقيق الإصلاح وبناء النهضة⁸⁴، لقد تنابعت أعدادها إلى رقم واحد وعشرون أي قرابة العام، ويبدو أنه تخلى عنها ليتولى منصب قاضي شرعي ببنزرت عام 1905م، كما تولى الخطابة والتدريس بجامعة الكبير.⁸⁵

وكان عمر بن قدور (1886-1932)م - أحد خريجي الزيتونة - يملك توجهات أدبية وفكرية جسّدها في عمله الصحفي، حيث أخذ يتعامل مبكراً مع جريدة الحاضرة التونسية والحضارة العثمانية التي تصدر في اسطنبول، ويذهب بعض الباحثين إلى أنه قد رجع إلى الجزائر سنة 1908م⁸⁶، وكانت ميوله قومية إسلامية كما يدل موشحُه الذي نشره في جريدة الحاضرة سنة 1909م، والذي عارض به موشح ابن سهل وتساءل فيه (هل أباد اليأس جيش الأمل؟)، وفي نظره أن اليأس لم يقع لأن الحضارة الإسلامية ما تزال بخير إذا استيقظ أهلها وعلمائها وعرفوا مكانتهم في التاريخ.

ويُعد عمر بن قدور الجزائري من بين الرواد الأوائل في التطلع إلى الوحدة المغاربية يوم نادى سنة 1914م بتأسيس (جمعية التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا)، فقد كتب يقول في الفاروق⁸⁷: «حدا بي إلى الخوض في هذا الموضوع ما أشعري به أحد المفكرين الموثوق بسمو مداراتهم بأن نجاح مشروعنا العظيم موقوف على تخصيصه بالوسط الجزائري فلا يتعداه إلى التخوم الشرقية والغربية ومستند هذا المفكر الخبير وحيه جداً بالنظر إلى المحيط السياسي.. أما مأمورية (الفاروق) في إيجاد هذا المشروع فإنها عامة لأن له القراء في تونس ومراكش ما يعادل قراءه في الجزائر... وكان أول المستجيبين له الأديب التونسي حسين الجزيري». وفي إطار التعاون والتنسيق الصحفي دائماً بين القطرين نجد عمر راسم الجزائري يتوجه بالنصح لكل من يصدر جريدة جديدة كما فعل وهو يهنئ الشيخ الطيب بن عيسى بصدر جريدته (المشير) قائلاً له:

83 - كرو، المرجع السابق، ص 63.

84 - بن عاشور (محمد الفاضل)، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، ط3، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983م، ص 62.

85 - محفوظ (محمد)، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، دار الغرب الإسلامي، 1982م، ص 128.

86 - سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر النقابي، ج5، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص 277.

87 - الفاروق، ع20، الجزائر: 1914/07.

«أرجوكم نعم الأخ أن تجعل مشرب الجريدة انتقادياً وخادمة للدولة العلية، وأن تنتقد عليها في كل ما تراه حسناً.. أيها الأخ اعلم أنك جزائري الجدد فلا تغفل عن وطنك ودافع عنه بقدر الطاقة ولا تخش في الله لومة لائم، وكن مع نصر الله يكن معك، وعلى الوطن يُعينك الله، وحب الوطن من الإيمان»⁸⁸، ونظراً لتلك العلاقة النقية الصادقة التي مزجت بين مشارب الجميع، ولما أبداه الجزائريون من غيرة وطنية واهتمام دقيق بأخبار الصحافة والصحفيين التونسيين فقد ظل التونسيون يبادلوهم نفس المشاعر الودية ويتابعون بحرص ضروب ما يتعرض له إخوانهم في الجزائر من أذى واضطهاد، وعندما لا يجدون الحول للدفاع عنهم فهم يكتفون على الأقل بنشر أخبارهم ولفت نظر الرأي العام إلى قضاياهم.

ولقد ضاهى بعض القراء الجزائريين مستوى جريدة "المشير" التونسية بالمستوى الذي كانت عليه جريدة (المنار)، وقد صاغ هذه المضاهاة في أبيات شعرية أرسل بها إلى الجريدة مُظهراً إعجابه بمضمونها الإصلاحي، فنشرت المشير⁸⁹ هذه الأبيات الموقعة باسم (أديب ابن خنشلة):

ألا من لي بذئ عقل منير *** يرحب بالمنار وبالمشير
ويحمل سامعيه على التصدي *** هم كتابنا صافي الضمير
يعظم شأن علم العصر فينا *** ويوقظهم إلى خير كثير

ومن أبرز الأفلام الجزائرية التي ناضلت من خلال الصحافة التونسية في هذه الفترة نجد قلم سعد الدين بلقاسم بن الخمار، فقد كان أول الملمين لفكرة عمر بن قدور الجزائري يوم دعا لعقد «جماعة التعارف الإسلامي» ومن أشد الكتاب تحمساً لها ودفاعاً عن أهدافها بل ومن أجرئهم مهاجمة لخصومها⁹⁰، نشر له الفاروق سلسلة مقالات في هذا الموضوع تحت عنوان «المفاوضات الاستنهاضية»⁹¹ جاء في بعضها داعياً الصحفيين التونسيين إلى الانخراط في جماعة التعارف الإسلامي «.. فيا بلاد شمال إفريقيا علقي حبال آمالك بهذه الجماعة فلسوف تبرز شمس الحقائق وتبدو للجاد الطرائق وتسطع الأنوار وتظهر الأسرار...»⁹².

لقد صدرت في تونس بعيد انتصاب الحماية الفرنسية عدد من الصحف والمجلات ذات الطابع الإصلاحي والثقافي العام، وزيادة على الحاضرة على أسسها الجزائري علي بوشوشة⁹³ وسبيل الرشاد التي

⁸⁸ - المشير، ع26، تونس: 1911/08/06.

⁸⁹ - المشير، ع26، تونس: 1911/08/06.

⁹⁰ - الفاروق، ع66، الجزائر: 1914/06/22.

⁹¹ - الفاروق، ع72، الجزائر: 1914/08/03، والأعداد التي تليها.

⁹² - بلقاسم بن خمار، "دمعة حارة على الملة"، الفاروق، ع72، الجزائر: 1914/08/03.

⁹³ - بوشوشة علي (1859 - 1917): ينحدر من عائلة جزائرية هاجرت إلى بنزرت وتصاهرت مع عائلة بن الشيخ.. وكلاهما هاجرتا من جيجل الجزائرية، أدخله أبوه إلى الكتاب ثم إلى الجامع وأخيراً إلى المعهد الصادقي عند افتتاحه، ثم أكمل دراسته بـ إنجلترا أين قضى ثلاث سنوات بها، وفي سنة 1881م، عاد إلى تونس حيث أسس سنة 1888م جريدة الحاضرة التي خاضت في جميع ما يتعلق

أسسها عبد العزيز الثعالبي ، والسعادة العظمى ومؤسسها الخضر حسين، ظهرت أيضا بعض الجرائد الهزلية النقدية سواء منها الناطقة بالعربية أو بالفرنسية وكان للصحفيين الجزائريين الزيتونيين فيها مساهمة متميزة تأسيساً أو اشتراكاً، ومنهم الزيتوني الهاشمي المكّي ، الذي بدأ حياته في ميدان الصحافة بإصدار جريدة إسلامية أسبوعية مناهضة للاستعمار سماها "الإسلام"، وسخرها للدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف وإعلاء كلمة المسلمين، وقد صدر منها عددان فقط، الأول في 10 جوان والثاني في 17 جوان من سنة 1908م، وإثر ذلك أصدرت سلطة الحماية قراراً مؤرخاً في 24 جوان 1908م يقضي بتعطيل جريدة "الإسلام"، بدعوى تعزيز صفو الأمن العام⁹⁴، ولكن الهاشمي المكّي لم يستسلم للأمر الواقع، فبذل قصارى جهده لإصدار جريدة هزلية لتعويض جريدته المعطّلة، وأطلق عليها اسم «أبو قشة* جريدة كشكولية هزلية جدية حساسة الشعور تجسّم اللب في قالب القشور»، وقد سخرها لتحقيق غرضين اثنين أولهما الإصلاح الاجتماعي والديني حسب تعاليم جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، ومقاومة البدع المنافية لروح الدين الإسلامي الحنيف وثانيهما مقاومة الاستعمار الفرنسي.⁹⁵

وقد بلغ هذه الغاية المزدوجة عند استعمال اللغة الدارجة والشعر الملحون لأول مرة في تاريخ الصحافة التونسية وذلك لإيقاظ الشعب وتوعيته، وذلك لأول مرة في تاريخ الصحافة التونسية، كما التجأ إلى نشر بعض القصائد من الشعر الشعبي الملحون، مثل قصائد الشاعر قاسم شقرون لتوعية الجماهير التونسية وتحقيق الأغراض السياسية والاجتماعية التي كانت ترمي إليها جريدته.

وقد تجلّت في جريدة أبوقشة بكل وضوح الروح الوطنية التي أخذت تنتشر في تونس قبيل الحرب العالمية الأولى من خلال الصحف التونسية الناطقة بالعربية، فلننصت إلى صاحبها وهو يختم إحدى افتتاحياته بقوله: «يا أيها الناس كونوا أحرارا مستقلي الفكر في ثوب من الإطلاق رافلين وألهجوا (كذا) دوماً بذكر الحرية وذكر رجالها، علّ تبعث فيكم من وراء ذكرها روح جدد تبعثكم على الاقتداء بمن تسربل بها، إذن فلتعش الحرية وليعش أنصارها والداعون لها»⁹⁶، ونشر الهاشمي المكّي في نفس العدد تعليقا مطولاً بمناسبة الحكم عليه بالسجن مدة شهر وبغرامة مالية قدرها (500 فرنك)، وقد صدره بمذنين البيتين من الشعر الملحون:

خدمة جريدة *** يلزمها ميثقات عديدة

بالحياة العامة التونسية، كما ساهم في تأسيس الجمعية الخلدونية سنة 1896م - للاطلاع راجع: - الزمري (الصادق) أعلام تونسيون، تح حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م، ص.ص(134 - 140).

⁹⁴ - حمادي (الساحلي)، الصحافة الهزلية في تونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996م، ص33- راجع أيضا:

- Centre de documentation National, A3-53

* - أبو قشة: تعني في لغة أهل الجنوب التونسي "القرد"، وقد ظهر عددها الأول، في 1908/07/19.

⁹⁵ - حمادي (الساحلي)، فصول في التاريخ والحضارة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص256.

⁹⁶ - أبو قشة، ع19، تونس: 1908/12/19م.

وبعد مدة قليلة ضاقت السلط الاستعمارية ذرعاً بانتقادات الهاشمي المكي، فاتخذت قراراً مؤرخاً في 27 جانفي 1909م يقضي بتعطيل "أبو قشة" بدعوى أنها نالت من هيبة الدولة وتطاولت على رجالها فارتحل الشيخ إلى طرابلس حيث أصدر جريدة من جديد، ثم تحوّل إلى تركيا ومنها إلى جاوة في أندونيسيا فاستقرّ بها إلى آخر حياته، وأصدر جريدة عربية جديدة بعنوان «بوربو دور».

كما أصدر الجزائري "محمد الصحي بن المكي"، جريدة هزلية بعنوان "أبو خلف" في 07/09/1910م ولم يظهر سوى خمسة أعداد، وأصدر الجزائري الآخر بن عيسى بن الشيخ أحمد الجزائري (1880-1957)م جريدة فكاهية انتقادية بعنوان "جحا" ظهر عددها الأول يوم 15/07/1909م، وسارت في منهج "أبو قشة"، تقاوم البدع وتدعو الشباب إلى التحلي بالأخلاق الحميدة والإقبال على طلب العلم، وكانت تنشر الفصول والمقالات الحرة باللغة الدارجة والمزومات والأزجال من نظم كبار شعراء الملحون أمثال: قاسم شقرون، وأحمد بن موسى، وعبد الرحمان الكافي وأخيراً أصدرت الحكومة قراراً مؤرخاً في 19/10/1910م يقضي بتعطيل هذه الجريدة⁹⁸، بعدها بعشرة أيام أصدر بن عيسى بن الشيخ أحمد جريدة "جحجوح" لكنه تمّ حجز العدد الأول المؤرخ في 20/10/1910م قبل توزيعه، وفي 26/01/1911م عاود الشيخ بن عيسى الكرة وأصدر جريدة الضحك التي استمرت في الظهور إلى أن أوقفتها الحكومة في نوفمبر 1911م مع جميع الصحف التونسية الأخرى.

وفي أوائل سنة 1920م قرر المقيم العام الفرنسي الجديد "فلاندا" رفع الحظر على الصحافة التونسية بعد احتجاج ثمان سنوات وثلاثة أشهر، فظهرت بعض الصحف التي أوقفتها الحكومة في نوفمبر 1911م، من ذلك أن بن عيسى بن الشيخ أحمد قد أعاد إصدار جريدة جحا ابتداءً من يوم 06 مارس 1920م، رغم انتهاج الجريدة سياسة معتدلة، فقد أوقفتها الحكومة يوم 23/01/1921م بتهمة التهجم على أحد أفراد العائلة المالكة وعندئذ أصدر صاحبها من جديد جريدة الضحك ولم يظهر منها سوى ثمانية أعداد حتى أوقفتها السلطة فعوضتها جريدة "جحجوح" التي تعطلت بدورها في 05/10/1921م⁹⁹، وللمكي كامل بن عزوز الجزائري عدة كتابات صحفية ساهم بها في تنشيط الساحة السياسية التونسية.¹⁰⁰

97 - نفسه.

98 - حمادي الساحلي، فصول في التاريخ، ص257.

99 - حمادي الساحلي، الصحافة الهزلية، ص259.

100 - Centre de documentation National, B2. 61, doc n°(1-2-3-4-5)

— سلسلة مقالات جريئة كتبها بجريدة أفريقيا الشمالية.

أما الجرائد التي نالت رواجاً في الميدان الثقافي والإصلاحي والأدبي بتونس كجريدة "العدلية" التي مثلت الشباب التونسي في الميدان الأدبي لصاحبها الهادي بن أحمد عباس فقد شاركه في تحريرها الشيخ الثعالبي بمقالاته الشهيرة وقلمه الناب، وكانت أول جريدة وطنية تصدر بالفرنسية هي "بريد تونس" لعبد العزيز الثعالبي التي تطوّرت برنامجها مع الزمن وأصبح يطالب بتمثيل التونسيين في المجلس الاستشاري، ودافعت بشدة على مسألة تعليم التونسيين، كما أن الثعالبي يحرر القسم العربي بجريدة "التونسي" ابتداء من شهر أكتوبر 1909م سماه الاتحاد الإسلامي¹⁰¹، وبعد من المشتغلين في الصحافة أيضاً حسين الجزيري، الذي بدأها منذ عهد شبابه الباكر، فكان في سنة 1910م يحرر افتتاحيات جريدة اللواء التونسية، وكان كاتباً بجريدة المنار التونسية ومراسلاً لجريدة الفاروق الجزائرية، كما كتب في الصحف الهزلية لميله إلى الفكاهة، فحرّر بجريدة "المضحك" وكتب في جريدة "جحا" مدة طويلة وفي الوقت نفسه كان يقوم بوظيفة الملقن لجمعية "الشهامة العربية" التمثيلية وهو لا يزال طالبا بالجامع الأعظم، وفي 12 فيفري 1921م أصدر جريدة "الندم" وهي أسبوعية أدبية فكاهية، فأظهر نشاطا كبيرا في إدارتها ومجهودا كبيرا لتنظيم بروزها فهو القائم بجميع شؤونها ومحرر جميع فصولها، وبين الحين والآخر يصدر منها عددا ممتازا يكتب فيه بعض الكتاب اللامعين المشهورين كالشيخ راجح إبراهيم الأكوادي -ومحمد الصالح المهدي، ومحي الدين القليبي... وغيرهم، وهي صحيفة من نوع جديد لم يسبق لها مثيل في تونس، تجمع الأدب والفكاهة وحسن استغلال إيجاء اللفظة العامية الدارجة للنكتة مع الروح الأدبية الممتزجة بها، ومظهر الانفعال الذي يتجسد في كتاباته كلها عناصر جذابة للقراء.¹⁰²

وزاول حسين الجزيري تعلمه بالكتاب ثم بجامع الزيتونة سنوات قلائل حيث وقع رفته بسبب ما أبداه من نشاط في أول إضراب شنته تلاميذ الزيتونة في 15 مارس 1910م فاحترف الصحافة ومكث بها حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى، ولجحد قهمة ملفقة دخل الجزيري السجن ولم يخرج منه إلا بعد الهدنة، وبعد خروجه من السجن استأنف العمل في جريدة "المضحك" وانخرط ضمن معاوي الوكلاء والمحامين، وفي السجن كتب من بين ما كتب قصيدته "صوت من السجن"¹⁰³؛ قال عنه عمر بن قفصية «لذيذ الأسلوب فكّه التحرير حلو الشعر، مرّ التنكيت، ييكت خصمه ولا يتركه إلا على نعشه، مقصه حاد بقطع حتى رقاب العباد، ولولا خفة روحه لرأيت له خصومة في كل حومة».¹⁰⁴

¹⁰¹ - مناصرة (يوسف)، الحزب الحر الدستوري، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م، ص.ص (27-28) - راجع أيضا:

- Centre de documentation National, A3, 39.

2 - - محفوظ محمد، تراجم، ج2، ص.ص (29-30).

¹⁰³ - المنصف (شرف الدين)، من رواد المسرح التونسي وأعلامه، تونس: المكتبة العتيقة، 1997م، ص 264

¹⁰⁴ - أضواء على الصحافة التونسية، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر، 1972م، ص 92.

فقد كان الجزيري يغتنم الفرصة للتعليق على الأحداث ودور بعض الأشخاص فيها بروح نقدية ساخرة لاذعة تثير الضحك، ويستعين بكل الوسائل الأدبية لإظهار ما يرمي إليه كالاستعانة بالأمثال الشعبية والنظم الشعبي الملحون وهو من البارعين فيه والأبيات الشعرية السائدة والوصف الوجيز الجامع للحقيقة والشواهد على هذا كثيرة في جريدة "الندم"¹⁰⁵، وعموما فأدبه النثري والشعري تسري فيه الروح الفكاهية النقدية المضحكة مع هدف واضح إلى الإصلاح قال عنه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مبيّنا ميزات شعره ونثره: «أما حسين الجزيري فإنه في شعره يتلاقى مع نثره في مؤثراته وأغراضه فهو ساحر متهمك يستخرج الضحك من روح الألم ويتخير الألفاظ ذات الوقع المطلوب من اللغة الفصحى أو اللغة العامية ومدار شعره كمدار نثره على روح الكفاح السياسي والإصلاح الاجتماعي»¹⁰⁶، ومن أشهر قصائده الفكاهية قصيدته في رمضان التي كان يحفظها أطفال المدارس وينشدونها في نشوة طالعها:

فرحت بمقدمه بطون الناس *** شهر تحنّ لذكره أضراسي .

ويلاحظ براعته في استخدام العبارة العامية في مطاوي القصيدة وبراعته في تضمين الشعر القديم وإخراجه من الغرض الذي قيل فيه إلى الغرض الذي يريده بلباقة كما في الشطر الثاني من البيت الأخير من قصيدة عجائب السجن وهو عجز بيت للمتنبي:

بدا قضت الأيام ما بين أهلها *** مصائب قوم عند قوم فوائد

والقصيدة تكشف عن نظام السجن والأخلاق المتدنية عند بعض المسجونين، لكن جريدة "الندم" الغراء احتجبت في مدة الحرب العالمية الثانية ولم تصد بعد ذلك، فأصبح حسين الجزيري يحرر افتتاحيات جريدة "الزهو" وكان له في نفس الجريدة "الزهو" باب عنوانه "نقرات على أوتار" كما قام بوظيفة المحرر بوزارة العدلية ثم عمل بعد الاستقلال بالإذاعة كمراقب للتمثيلات إلى أن وافاه الأجل أواخر سنة 1974م¹⁰⁷ كما كان لحسين الجزيري إبداع في التأليف النثري والشعري منها رسالة طبعها بالجزائر هي "تنبيه الغلام إلى شيم الكبار" وفيه نصائح وتوجيهات ترمي بالشباب إلى بلوغ درجة الكمال، وكذا ديوان شعر طبعه بتونس.

105 - المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)، ج1، الجزائر: ش. و. ن. ت، 1976م، ص. ص(265- 67).

106 - بن عاشور، الحركة الفكرية، ص 145

107 - المنصف(شرف الدين)، من رواد المسرح، ص 266

وإذا كان التفتح والابتكار ومسيرة الأحداث من سمات الصحيفة الناجحة فإن هذا ما توفر فعلا لجريدة (لسان الشعب)، الأسبوعية بفضل مهارة ومقدرة صاحبها ومؤسستها السيد البشير الخنقي¹⁰⁸ الجزائري الذي أصدرها سنة 1291هـ/ في صفحتين لمدة عامين ثم طورها إلى أربع صفحات وإلى ستة في بعض الأحيان¹⁰⁹، وكان الشعار الذي إلترمه الخنقي طوال حياته الصحفية هو الدفاع عن مصالح البلاد ومؤازرة العاملين مع الحرص كل الحرص على عدم خدمة هيئة بعينها أو جمعية بذاتها ومما يحفظه التاريخ له بمزيد الإعجاب أنه أغرى بعشرة آلاف فرنك من حركة النادي التونسي ليكون لسانها الناطق ويفسح مجال جريدته لأقلام معتنقيها فأبى ذلك بكل شتم ولم يضعف رغم تعدد العرض وتنوع المساومات.¹¹⁰

وقد بدأ البشير الخنقي عمله الصحفي سنة 1911م، بمراسلة جريدة (الكامل) الصادرة بحيفا بفلسطين الضائعة.. كما راسل جريدة (البلاد) اللبنانية، وقد كتب بإمضاءات مستعارة في أشهر الصحف التونسية، ومما يلاحظ أن كتابة الخنقي لا تعقيد فيها ولا إطالة، إذ أنها نوع من التراسل سهل الفهم، سريع الهضم، خال من الاستطراد الذي يُطوّح بالقراء في متاهات الضياع¹¹¹، والبشير الخنقي ولد بتونس من أب جزائري الأصل وتعلم بالزيتونة، وساهم بنصيب موفور في إيقاظ الشعور الوطني بقلمه وعمله «فهو يُشرك بكل انتصار وبكل هزيمة للخارجين فترى لسانه دائم الالتواء لا يميل إلى الانزواء له مكاتب للمحابر والدفاتر وللصحف والمجلات وله مجلس في مفترق الطرقات وهو ذو انتباه لم يهل بلاده من كل المسالك وذو اشتغال بالأخبار عما هو حاصل في مختلف الممالك ولكن بتضامن مشتركه قد بخلوا وقصّروا، وتركوه ينادي تعالوا وانظروا...»¹¹².

كما صدرت منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر عدة صحف تونسية ناطقة باللغة العربية من أشهرها جريدة الزهرة التي سيكون لها شأن عظيم في تاريخ الصحافة التونسية، وصاحب هذه الجريدة هو الجزائري عبد الرحمان الصنادلي (1850-1935)، وقد ولد بتونس من أسرة جزائرية، هاجرت إلى البلاد التونسية قبل انتصاب الحماية في سنة 1881م، وبعد أن زاول دراسته بجامع الزيتونة تحوّل إلى القاهرة حيث التحق بجامع الأزهر لمواصلة دراسته العليا، وإثر عودته إلى تونس أصدر في سنة 1830م جريدة نصف أسبوعية أطلق عليها اسم "الزهرة" التي عطلتها السلطات الاستعمارية مرتين بسبب مواقفها الوطنية، ثم عادت

108 - الخنقي (البشير) ولد البشير بن حسونة الخنقي بتونس من أب جزائري الأصل، كان صاحب عقارات ونساجا، زاول تعليمه الابتدائي بالكتاب ثم الثانوي بالعلوية ثم بجامع الزيتونة، لكنه تكوّن في الواقع بالخلدونية، أسّس جريدة لسان الشعب (1920-1938)م، وقد عمّر طويلا حيث قارب التسعين من العمر.

109 - Centre de documentation National, B2-25.

110 - بن قفصية، أضواء، ص 155.

111 - نفسه.

112 - نفسه، ص 91.

إلى الظهور في شكل جريدة يومية مسائية وكانت الصحيفة العربية الوحيدة التي نجت من التعطيل إثر حوادث الجلاز (1911/11/07)م¹¹³، كما أنها كانت في عصرها الجريدة العربية اليومية الوحيدة بتونس بل وفي المغرب العربي كله ودام ذلك ما لا يقل عن خمسة عشرة عاما حتى برزت جريدة النهضة اليومية عام 1923م.

وللصنادلي في مناصرة الضعفاء مواقف مشرفة نذكر منها على سبيل المثال. موقفه في الدفاع عن المساجين (جقار)، وحملته المشهورة ضد القساوة التي يستعملها الحراس معهم حتى وصل الأمر إلى دفن الأحياء، وكان من أثر تلك الحملة أن أخرجت جثث الأموات من القبور ووقع الكشف عنها من طرف الأطباء بحضور قضاة التحقيق، وكذلك حملته على أداء الصانتيماث الإضافية وإرهاق الفلاحين¹¹⁴، وزبدة القول أن الشيخ الصنادلي من كبار كتّاب العربية وأبرز الصحفيين في المغرب العربي وقد خدم أمته ووطنه والعرب المسلمين عامة بقلمه وجريدته طيلة نصف قرن.

وزيادة على صحيفة الزهرة، هناك صحيفة أخرى بارزة لعبت دورا أساسيا في التعريف بأحداث الجزائر الداخلية، وكان لها مراسلون من الداخل الجزائري، وهي صحيفة (المشير) التي صدرت سنة 1911م وكان مراسلاها من الجزائر عُلّمان بارزان هما عمر راسم وعمر بن قدور¹¹⁵، وكان رئيسها الجزائري الطيب بن عيسى الذي ولد بتونس سنة 1885م في أسرة جزائرية الأصل وبعد انتهاء دراسته بالزيتونة والخلدونية اقتحم ميدان النشاط الصحفي فأصدر في مطلع سنة 1911م جريدة المشير التي احتجت في نفس السنة، مثل باقي الصحف العربية إثر حوادث الجلاز، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أعاد إصدار جريدته في سنة 1920م لكن السلطة قد عطلتها بعد مدة قصيرة من صدورها فأصدر إثر ذلك جريدة الوزير التي استمرت في الظهور سنوات عديدة، والتحق بالحزب الدستوري منذ تأسيسه وعُيّن عضوا في لجنته التنفيذية، لكنه سرعان ما انفصل عن الحزب لينظم إلى الحزب الدستوري المستقل الذي لم يُعمر مدة طويلة مثله مثل الحزب الإصلاحي¹¹⁶ الذي أنشأه الجزائري حسن قلاّتي¹¹⁷ قال عنه بن قفصية: «استوزر في دولة صاحبة الجلالة

¹¹³ -حمادي (الساحلي)، تراجم، ص 425 راجع أيضا:

- Centre de documentation National, B2-66, doc n° 31 et 37.

¹¹⁴ بن قفصية، أضواء، ص.ص(63-64).

¹¹⁵ -الجابري(محمد الصالح)، "تونس في نظر الشعراء الجزائريين " الفكر، ع 07، تونس: 1984/04م، ص 108 .

¹¹⁶ - Centre de documentation National, B2-66-doc n°31et 37

¹¹⁷ - قلاّتي حسن علي(1880 – 1966) من أصول جزائرية، ومن مواليد قصر البخاري(قرب العاصمة) هاجرت عائلته إلى تونس بعد احتلالها وعمره لم يتجاوز السنة، لم يلبث حسن أن عاد إلى الجزائر لدراسة الحقوق بجامعةها، وتحصل على شهادة البكالوريا من معهد الحقوق بتولوز سنة 1902م ولما عّاد إلى تونس اشترك مع علي باش حامبة في تأسيس حركة تونس الفتاة وجريدة التونسي (1907 م)، ساهم في تأسيس الحزب الحر الدستوري وعندما اختلف مع أعضائه عقب مغادرة الثعالي تونس أنشأ الحزب الإصلاحي

(الصحافة)، فكان مشيرها ومستشارها في محلياته وخارجياته، ومتفرقاته فهو وزير عاقل ومشير لبيب في مقام طبيب، ولقد جاهد كثيرا في حياته الصحفية، وامتنح ولم يفرز إلا برضى القراء الذين لم يهمهم غنى أو فقر الكاتب».¹¹⁸

2. النضال الصحفي في الصحافة التونسية خلال الفترة (1921-1945م)

بالإضافة إلى المهاجرين الجزائريين الذين ذكرناهم سلفا، وعرفوا بمواقفهم العلنية، وتضامنهم المطلق مع الوطنيين التونسيين، ومارسوا كفاحا عمليا في إطار الحزب الحر الدستوري، فإننا نطالع خلال الفترة (1921-1945م) كتابات متعددة لبعض الجزائريين الآخرين، من طلبة جامع الزيتونة ومن رجال الحركة الوطنية الجزائرية المقيمين داخل الجزائر، وتتضمن هذه الكتابات تعريفا بالجزائر، وانشغالا بأوضاعها ودعوة مُجاهدة ومُلحة للتعرف عما يحدث في أنحائها مما يجعلنا نصنفها في عداد الكتابات الهادفة إلى مجاهدة الاستعمار ونصنف أصحابها بين هؤلاء المكافحين بالقلم الذين حاولوا خدمة بلادهم في ظروف عويصة محفوفة بالتحاذير والأخطار.

وقد عاضد هذه الحركة الزاخرة من لدن الطلبة الزيتونيين في الصحافة التونسية صدور عدد من الصحف الوطنية الجزائرية التي كانت تنزع منزعا إصلاحيا وطنيا، التي شرعت بدءا من منتصف عشرينات القرن الفارط تبث الوعي الديني والسياسي، وتطل على القارئ التونسي في تونس حيث كانت توزع توزيعا واسعا، وتلاقي الابتهاج والثناء عليها من مختلف الصحف الوطنية التونسية.

في يوم كان السعيد الزاهري طالبا في تونس كانت له صلات أدبية وصحفية وثيقة بالصحافة هناك وكانت جريدة النهضة التونسية تعترز بإنتاجه وتنشره بعناوين بارزة، وفيها نشر الكثير من قصائده، كما نشر الزاهري في الشهاب مقالا بعنوان «داء دفين في جامع الزيتونة»¹¹⁹، انتقد فيه بعض الأوضاع السائدة في الجامع واسترسل في طرح وجهة نظره مقدما الحلول والبدائل لتصحيح الخطأ وعلاج الداء، كما نشر عدد من المقالات في جريدة الوزير لصاحبها الطيب بن عيسى، منها مقال تحدّث فيه عن خصوصية الوحدة المغاربية قائلا: «إن تاريخ المغرب هو تاريخ واحد متصل تمام الاتصال بعضه ببعض، حتى لا يقوم تاريخ تونس مثلا بدون تاريخ الجزائر ومراكش، إلا كما يقوم عضو من أعضاء الإنسان بدون غيره من بقية الأعضاء.. وسواء استقام تاريخ كل قطر من هذه الأقطار الثلاثة على حدة، أم لم يستقم فإن تاريخها جميعا شديد

وجريدة البرهان لسان الوثام الفرنسي التونسي... للإطلاع راجع: الزمرلي، أعلام تونسيون، ص.ص (333-338) - المدني، حياة كفايح، ج1، ص 222.

¹¹⁸ - بن قفصية، أضواء، ص 91.

¹¹⁹ - الشهاب، ديسمبر 1933م

الاتصال»¹²⁰ ذلك أن الروابط الطبيعية التي لا تربط بعضها بعضا كثيرة جدا زيادة على رابطة التاريخ فإن كل المغرب اليوم هم سلالة منحدره من البربر والعرب، وهناك رابطة اللغة والدين وكذا رابطة العادات والأخلاق المتقاربة.¹²¹

لقد ساهم الزاهري في عملية النشر بالصحافة التونسية، كمقالاته التي نشرها في جريدة الوزير التونسية، حيث استقطبت اهتمام قراء الجريدة، بما فيهم رئيس تحريرها الطيب بن عيسى الذي مهد لإحدى مراسلات الزاهري بمقال عنوانه (حول المقالة القيمة) قائلا: «وردت علينا مقالة ممتعة أتى بها بريد تلمسان من الأستاذ المفضل، والبطل المغوار الشيخ محمد الزاهري يدعو فيها إلى إيجاد وحدة "مغربية" تشمل تونس والجزائر والمغرب الأقصى إذ في ارتباط المغريين [المغاريين] ببعضهم من جميع النواحي والوجهات فوائد لا تحصى ومنافع لا تستقصى» حيث قال الزاهري: «فلنعمل على تقوية الرابطة الإسلامية وإحيائها بين أقطار المغرب الثلاثة، ولنسم أنفسنا أبناء المغرب ولنسج في إحياء مجد المغرب، ولنُدعُ إلى الوحدة المغربية».¹²²

كما تلقت جريدة النهضة التونسية رسائل قليلة منه حاول فيها تصوير ما يجري في الجزائر على مستوى القوانين والتشريعات والصراعات السياسية، وفي إحدى هذه الرسائل نراه يُطلع القراء التونسيين على شروع الحكومة في تطبيق القانون الذي صدر سنة 1919م، ولم يتسن تطبيقه إلا في سنة 1925م وهو المتعلق بمنح بعض الامتيازات الانتخابية لبعض الأهليين في المجالس البلدية، إذ ينص القانون الجديد على انتخاب عضو أهلي من أعضاء المجلس البلدي سمي «جوان مير»، له النظر الواسع في أمور المسلمين، وينتخبه أعضاء مجلس الأهالي والفرنسيون انتخابا حرا كما ينتخب شيخ المدينة...¹²³

كما اهتم أبي اليقظان اهتماما شديدا من خلال رسائله في جريدة المنير تحت عنوان «الرسائل الجزائرية». بمعالجة الواقع المحلي للجزائر وتوجيه النصائح إلى عموم الجزائريين داعيا في نفس الوقت إلى الاتحاد والتضامن والتأكيد على الشخصية الجزائرية ومثلما ندّد أبو اليقظان بالجهل والخيانة والتهور والاستغلال والزيف، نراه يندد بالسلطة الاستعمارية جهاراً ويوجه الرسائل عبر الصحافة إلى القائمين عليها أمثال "جناب مسيو إيل"، الذي أصدر قرارا يمنع رواج الصحافة التونسية التي كانت المدد الروحي الوحيد الذي يعتدي منه القراء في الجزائر، وبمناسبة هذا القرار الجائر لم يستطع أبو اليقظان السكوت والإغضاء بل فضّل مخاطبة "إيل" عبر الصحافة التونسية نفسها لإحراج موقفه والتشجيع به لدى الرأي العام في تونس والجزائر معا مخاطبا إياه في حماسة وصراحة قائلا: «فهذه الصحافة التونسية قد قضت عليها السياسة العصرية بالتعطيل عنا، وحاولت

120 - الخرفي (صالح)، محمد السعيد الزاهري، الجزائر: م، و، ك، 1986م، ص 164.

121 - الشامي (علي)، الصحراء الغربية (عقدة التجزئة)، بيروت: دار الكلمة للنشر، 1980 م، ص.ص (29.15)

122 - الوزير، تونس: 1929/4/4م طالع أيضا، الوزير، تونس: 1929/03/21م

123 - النهضة، تونس: 1925/05/22م

بذلك حرماننا من القراءة والكتابة بلغة ديننا وبلادنا والتجهيز (كذا) على ما بقي لنا من رمق الحياة وقتل حياتنا الأدبية صبرا بعد حياتنا المادية جوعاً».¹²⁴

وفي مقال له بعنوان « الصحافة مرقاة للحياة ومرآة الحياة»، نشر أبا اليقظان إحدى قصائده المطولة يشرح فيها دور الصحافة في حياة الشعوب الراقية المتقدمة كما هنا الصحافة التونسية التي عادت بعد احتجاج، معربا لها عن الوفاء مشيرا بمختلف الأدوار التي قامت بها في نهضة المغرب عموما مستفزا همّة الجزائريين كي يقوموا بإصدار صحف مماثلة :

***	بعد احتجاج عمره سنوات	وصحافة الخضراء إذا برزت لنا
***	فلقد أصابت شمسنا ظلمات	يا شمس تونس إن أصابك كسفهم
***	ملكا تؤدى عنده السجادات	لو لم يغب في السجن يوسف ما أضحي
***	إذ منك دبّت في الشعوب حياة ¹²⁵	أفلا يكون مسلياً لك ما نرى

وهكذا نرى الشاعر يُمثّل احتجاج الصحافة عن الصدور بالليل الطويل الممتد، وبالظلام الذي يصيب العقول والديار على السواء لأنه كان أكثر القوم تعلّقاً بهذه الصحافة وأكثرهم إحساساً بمسؤولية الصحافي الوطني، وبحكم معايشة الشاعر (أبي اليقظان) لهذه الصحف ووجوده في تونس في هذه الفترة ومساهمته بالكتابة في جريدة (النير) خاصة فإننا لا نستغرب منه الحرص على العودة، ولا ذلك الوفاء السخي المتصل، ذلك أن قضية صلة الصحافة التونسية بالشعب الجزائري نلمسها من خلال القصائد الشعرية التي وردت من داخل الجزائر وبالذات من جنوب الجزائر على هذه الصحف مُدعمة لاتجاهها الوطني، لقد أولى الشيخ أبو اليقظان قضايا المغرب الكبير اهتماماً مميّزاً في صحافته وتجاوز عمله فيه من المساندة إلى التنفيذ فقد فتح صحفه على مصراعيها لمساهمة الكتاب التونسيين أمثال: عثمان الكعاك الحبيب الخلصي، محمود بورقيبة الشاعر، ولقد عرفت جريدته "النور" اهتماماً واهباً لا من التونسيين إذ شهدت رواجاً في تونس أكثر منه في الجزائر، إنّ هذه الفكرة التي حملها أبو اليقظان كانت نابعة من إيمانه العميق بالمصير المشترك لبلدان المغرب الكبير واعتبرهم جسداً وأمة واحدة¹²⁶، وهو يرى أن العسف والإرهاب الاستعماري سواء كان في تونس أو في الجزائر فهو تشييد لعزائم أهل الشمال الأفريقي كلهم فنجدّه ينادي الأشقاء التونسيين بالصبر والاحتمال وأن لا يضيّقوا من سياسة الضغط والعسف فليس هناك قوة في الدنيا ترد الهلال عن الاكتمال.¹²⁷

124 - المنير، 1921/02/11

125 - الزاهري (محمد الهادي)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، تونس: المطبعة التونسية، 1926م، ص116

126 - قاسم (الشيخ بلحاج)، "الشيخ أبو يقظان"، المواقفات، ع/05 الجزائر: جوان 1996م، ص507.

127 - الأمة، ع76 الجزائر، 1936/05/26م، للتوسع راجع أيضاً، الأمة، ع130، الجزائر: 1937/7/02م.

لقد كانت صحف أبو اليقظان التي أصدرها في فترة العشرينات والثلاثينات هي مدار جهاده الإسلامي بالدرجة الأولى فمن خلالها كان يبلغ أفكاره الإصلاحية إلى كل أنحاء القطر الجزائري وكذا الأقطار الإسلامية الأخرى خاصة منها تونس، وهذا التفاعل يبدو جلياً في كثرة مقالاته عنها، وفي ذلك الأسلوب الحماسي المتهيج الذي يريد من خلاله أن يُوقظ الشعوب الإسلامية، ويدفع بها مع غيره لأجل رفع راية الإسلام بالإصلاح والنهضة¹²⁸، وفي هذا السبيل عمل الشيخ أبو يقظان على إنشاء صلات وثيقة مع زعماء الإصلاح في تونس من ذوي النزعة الوطنية الإسلامية الصادقة، أمثال عبد العزيز الثعالبي وسالم بن يعقوب بجرية ومحي الدين القليبي والحامي أحمد الصافي والأستاذ الشاذلي المزالي، وزين العابدين السنوسي صاحب مجلة العرب، لقد خصص الشيخ أبو اليقظان في صحفه مجالا واسعاً لتتبع أحداث تونس والاهتمام بقضاياهم والمساهمة بأفكاره وآراءه فيها، ويمكن حصر محاور هذه المقالات فيما يلي:

- تفرق المسلمين في تونس واختلافهم وخطر هذا عليهم.
- التنديد بأعداء الإسلام والتشهير بمخططاتهم.
- دعوتهم إلى التضامن وعرض الحلول الممكنة للتغلب على هذا الواقع المرير.

إن هذه المحاور التي رسمت اهتمامات صحف أبي اليقظان كانت استجابة لذلك الإيمان العميق الراسخ بفكرة الإصلاح وإحداث النهضة في المجتمع الإسلامي والتحرر من عبودية الاستعمار بكل أشكاله، ومن مساهماته الصحفية دفاعاً عن المسلمين في تونس، رده القوي على كاتبة فرنسية تدعى (مدام سيلاربي)، بمقالة نشرها في جريدة وادي ميزاب¹²⁹، بعنوان: "كيف يفهمون الدين؟" هذه الكاتبة زارت تونس وحررت مقالا عما رآته من تكاثر الشحاذين والمتسولين، ساخرة مزدربة بالإسلام مدعية بأن أولئك الأشكال من الناس هم تحت رعاية محمد (صلى الله عليه وسلم)، فغضب أبو يقظان لذلك معتبرا هذا العمل قلبا للحقائق وتسفيهاً للحق، وتعصباً ضد الإسلام والمسلمين في تونس، ثم شرح لهذه السيدة أن ما عليه المسلمون الآن في تونس، إنما سببه الأساسي هو ذلك الاستعمار الأوربي الحقود الذي أبقي هذه الشعوب على تلك الحالة وغلق كل منافذ التحضر أمامها.

ولتقدير النضال الصحفي لأبو اليقظان بتونس يكفي أن نذكر بأن جريدته وادي ميزاب التي صدرت يوم 1926/10/01م كانت تطبع بتونس وتوزع بالجزائر¹³⁰، وكان أول الداعين لتأسيسها والعاملين على صدورها الأستاذ محمد بن الحاج صالح الثميني وهو الذي تولى رئاسة تحريرها وطبعها بتونس، والإشراف على تصحيحها وتوجيهها جاهزة للجزائر، بل أن جلّ جرائد أبي اليقظان كانت تطبع بالمطبعة التونسية ثم انتقلت

¹²⁸ - ناصر (محمد)، "أبو اليقظان والقضايا الإسلامية والعربية"، الثقافة، ع27، الجزائر: أوت/سبتمبر 1974م، ص63.

¹²⁹ - ع107، الجزائر: 1922/11/02.

¹³⁰ - عن ذلك راجع: الزبير (سيف الإسلام)، "النضال الصحفي"، الأصاله، ع(14/15)، ص.ص (284 - 289).

إلى المطبعة الأهلية بنهج الديوان فطلبت الحكومة الاستعمارية بالجزائر من حكومة تونس عدم السماح بطبع جرائد أبي اليقظان بتونس إلا برخصة من حكومة الجزائر، وأنداك اضطر أبو اليقظان لطبع جرائده بمطبعة المغرب التي كان يملكها ابن عليوة بعاصمة الجزائر ومديرها الأخضر عمروش رئيس تحرير "البلاغ الجزائري" سنة 1929م¹³¹، وهذه الشذرات القليلة من نظالات أبي اليقظان المنشورة بالصحف التونسية لا تدل فقط على همة ووطنية صاحبها، ولكنها تؤرخ لحركة الوعي السياسي والحضاري التي قادها ثلة من الطلبة الجزائريين الذين اتخذوا من تونس منطلقاً، ومن صحافتها منبراً ومن مخاطبة الشعبين التونسي والجزائري بداية "لحوار حول وحدة هذه الربوع ولبنة في الصرح المغاري والعربي المؤمل، ثم لبثّ جهاد الطلبة الأولين أن حرك أقلام الطلبة وأقلام كتّاب الجزائر، وأثار فيهم النخوة للكتابة عن الأوضاع الداخلية في رسائل كانت تنشرها الصحافة التونسية وتطلع الرأي العام من خلالها على الظروف الصعبة والأوضاع المتردية التي كانت تعيشها الجزائر في ظل احتلال غاشم، إن نفس الأفكار المحرّضة على حرية القول وعلى الدعوة، إلى أن تنهض الصحافة بواجبها كاملاً تجاه الشعوب المغربية وخاصة تونس والجزائر التي نادى بها كل من الزاهري وأبو اليقظان، ظلت تتردد في معظم ما كتب الجزائريون المهاجرون في تونس من قصائد تتناول دور الصحافة في المناسبات التي تقتضي تهنئة جريدة من هذه الجرائد أو إبداء الأسف على احتجاجها، ولعل أكثر هؤلاء وفاءً للجريدة التي رعتهم وبرت بمواهبه الطالب حمزة بوكوشة (شنوف)¹³²، الذي نجده يلتزم الكتابة في جريدة (الوزير)، فقط سواء إبان إقامته للدراسة بتونس أو عند عودته إلى الجزائر وقد توثقت هذه الصلة بين الشاعر وأسرة التحرير من مجرد اعتباره كاتباً وشاعراً جزائرياً يُحرر بعض الخطرات من حين لآخر إلى صداقة توثقت عراها بينه وبين مدير الجريدة الشيخ الطيب بن عيسى الجزائري الأصل، وبين الشاعر التونسي محمود بورقيبة الذي كان يشرف على تحرير الأركان الأدبية بنفس الجريدة.

ولئن لم تشر الصحافة التونسية إلى أي زيارة يمكن أن يكون الملي قد قام بها إلى تونس منذ مبارحته لها في سنة 1924م مع اهتمامها الجلي بكل الزيارات التي أداها أعضاء جمعية العلماء، فإن بعض المجالات التي صدرت بتونس احتفظت لنا برسالتين فقط كان الملي أرسل بهما إلى بعض الأوساط العلمية الجزائرية والتونسية بتونس في مناسبتين خلال سنة 1937م، المناسبة الأولى هي احتفال جمعية الطلبة الجزائريين

¹³¹ - مفدي (زكريا)، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تح أحمد حمدي، الجزائر: مؤسسة مفدي زكريا، 2003م، ص 167.

¹³² - بوكوشة حمزة (شنوف) (1907 - 1979 م): من مواليد وادي سوف، درس بالزيتونة وتخرّج منها سنة 1930م، نشر قصائد عديدة في جريدة الوزير، ساهم في الحركة الإصلاحية بمقالاته التي نشرت بجريدتي الشهاب والبصائر، كما عمل بسلك القضاء ثم عمل بمدارس الجمعية في دلس وقسنطينة والجزائر.. وأعتقل سنة 1957م، وبعد الاستقلال استأنف عمله في التعليم الثانوي وحصل سنة 1971م على شهادة الليسانس في الحقوق فُعِن مستشاراً في مجلس القضاء الأعلى كما فتح مكتباً للمحاماة بعد تقاعده. للاطلاع راجع: - بن قينة (عمر)، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر: د، م، ج، 1993م، ص.ص (375- 385).

بذكرى الهجرة النبوية وقد وجهوا الدعوة إليه لحضور احتفالهم فلما تعذر عليه الحضور كتب إليهم خطاباً توجيهياً لمساندة نضالهم ومباركة جهودهم¹³³، أما المناسبة الثانية فكانت خطاباً كتبه إلى أعضاء أسرة تحرير المجلة الزيتونية عندما اتصل بالعدد الثالث من مجلتها وقد ضمن هذا الخطاب جملة من الملاحظات التي عزّ له إبداءها حول المجلة ومنهجها ومضمونها العلمي وتقديراً من المجلة لأهمية هذا الخطاب ومكانة صاحبه العلمية واعتزازاً بما ورد فيه من آراء وأفكار، وإن كانت في غير صالح المجلة، فقد بادرت بنشره لصدوره عن «عالم صديق فاضل» كما وصفته المجلة كانت غاياته نبيلة ومقاصده شريفة وغيرته مشروعة¹³⁴، وهذا بعض ما جاء في هذه الرسالة: «...نكتب هذا وبين أيدينا أثر من أثار ذلك الجامع المغمور، هو "المجلة الزيتونية" الممتعة بحمل عرشها أربعة من شيوخه المدرسين وفتيانه الأقوياء.. ولا انتقل قبل أن أبدي شكري لرجال إدارة المجلة وإعجابي بمهمتهم لنهوضهم بهذا العمل الجميل، ولحفظهم لذلك العهد عهد اجتماعنا في الطلب وإن تطاولت عليه حقبة، ثم لنعد إلى مجلتنا فلننتظرها بعين ذلك الهوى العاقل في غير تعصب أو احتقار فإنّ نجدها روضة باسقة الأغصان وارفة الظلال متنوعة الأشجار ناضجة الثمار... وإن الذي سرني جداً وملأني ثقة بحسن مستقبل مجلتنا وتحسين سمعة جامعنا هو اشتباك إمضاءات فتيّة ناشطين بإمضاءات شيب متبصرين... (وهذا) ما ينشر بثبوت قدمها في سلم الكمال ويضمن لها السير في طريق الاستقامة والاعتدال، ويربي النشء على احترام الكبار، ويدعو الكبار إلى مشاركة الشبان، وفي امتزاج هاتين الطبقتين قضاءً على الجمود وسلامةً من التطرق»¹³⁵.

ويبدو أن التونسيين حتى من غير منخرطي الحزب الحر الدستوري قد أصابته حالة من الدهشة عندما اكتشفوا بالموازاة مع إعجابهم بشخصية توفيق المدني أن هذا الذي يدافع عن قضاياهم ويناضل من أجل حريتهم بمقالاته الجرئية وأدواره السياسية الفكرية المتعددة، إنما هو في أصله جزائري وقد تكمن مفاجئتهم في إن معظمهم لم يكن يفرق بين ما هو جزائري وغير جزائري خصوصاً في الحن والأزمات، فقد بدا لهم المدني من خلال مقالاته الغزيرة المدافعة عن القضية التونسية باهتمام إضافة إلى عضويته الحزبية المتميزة، أنه تونسي الأصل والفصل، وفي هذا الإطار يبدو المدني تونسياً مغرباً إسلامياً، دون أن يولي اهتماماً يذكر بالقضية الجزائرية، وربما كان يفعل ذلك خوفاً من الوقوع في الخطور، ففي جلّ مقالاته برز بشخصية سياسية متميزة بالعناد والصلابة والإيمان بمبادئ الحزب والتصدي لخصومه من المستعمرين الفرنسيين الذين طالوا ما طالوا وسوّقوا في انتظار أن تحين الفرصة للانقضاض على الحزب نفسه، أو تأتي الأحداث بما يشتهون.

¹³³ - الفترة الأولى (إصدار ج. ط. ز. ج)، تونس: مطبعة الشباب، 1937م، ص 88.

¹³⁴ - الجابري (محمد الصالح)، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م، ص 58.

¹³⁵ - الزيتونية، ج 7، مج 1، ص. ص (47-48).

في هذا المجال الذي يبرز فيه الكاتب متحزباً شديد الإيمان والتعلق بمبادئ الدستور نراه يؤكد في إحدى مناقشاته لتصريح أحد وزراء خارجية فرنسا لحمة الحزب وصلابته بقوله: «أما الحزب الحر الدستوري التونسي ورجال الأمة المخلصون الملتفون حوله التفافاً متيناً فإنهم يستمرون بثبات كلي، وبعزم أكيد على أعمالهم، ولا يغادرون فرصة كبيرة ولا صغيرة إلا انتهزوها لعرض مطالبهم والسعي في تحقيقها بكل الوسائل السلمية المشروعة، وإنهم ليزدادون إلا قوة وثباتاً كلما ازداد خصومهم انغماساً في بحر الأكاذيب المردولة فلنسر سيرنا، ولنذب على أعمالنا، ولنبتع خططنا السياسية التي ارتسمناها لأنفسنا، وما علينا أن يوالي أضعافنا حملاتهم ضدهم...»¹³⁶، وبهذا الفهم الذي يقوم على منطق الرفض للأمر الواقع ومحاولة تغييره بصورة ملحّة ودائبة لم يتحد مع توفيق المدني شتى وسائل التهيب والترغيب، فقد كانت جزائريته كما يقول في مذكراته: «تملي عليّ الصمود في المواقف الصعبة والمقاومة حتى النهاية» بل كان ينصح الناس بأن يجربوا «لذة» السجن مثلما جربها هو وله من العمر خمس عشرة سنة، حين زجّ به في 15 فيفري 1915م بتهمة التدبير لقيام تنظيم سياسي وتوزيع الأناشيد الوطنية والمنشورات ضد فرنسا.¹³⁷

وعن إسهاماته الصحفية بعد الحرب العالمية الأولى يقول عن نفسه: « وجاء يوم أول فيفري 1920م وكان يوم تحرير الصحافة التونسية من عقابها... وازدانت الأفاف الفكرية والسياسية والأدبية بتونس بعودة صحف المشير والصواب وعدد كبير من الصحف الجديدة والمجلات الراقية كالنور والبدر والمجلة الصادقية... شمرت عندئذ عن ساعدي وآمنت بأن ساعة العمل قد دقت وتقدمت ولا أزال بالزيتونة إلى الصحف التونسية خاصة الصواب والوزير بمقالات متوالية اخترت لها رمز المنصور إمضاءً حتى لا أظهر باسمي لشر الإدارة وكنت أوالي الكتابة ضمن دائرة السياسة الخارجية وأتولى النضال عن القضية المصرية والسورية وخاصة التركية... كما نشرت ترجمة لمقالة "هنري دي شامبون" - صاحب المجلة البرلمانية بباريس - المقتبسة أصلاً من كتاب تونس الشهيدة وفيها نقد قاسي للإدارة الاستعمارية بتونس، وهذا في جريدة "المشير"، وتهاقت التونسيون على المشير يحتطفونه من الباعة، فلم يبق في السوق إلا بعض أعداد فقط حجزتها الإدارة، وأمرت بإغلاق جريدة المشير وأخذت منذ ذلك الحين أغشى المجالس السياسية بصفة منتظمة وأكتب المقالات السياسية لمختلف الصحف أمضيها باسم المنصور تارة، وأنشرها دون إمضاء تارة أخرى»¹³⁸، وخلال هذه الفترة كان المدني يُحرر القسمين الإسلامي والخارجي بجريدة الأمة لصاحبها الحاج عي بن مصطفى¹³⁹.

136 - لسان الشعب، تونس: 1925/02/24م.

137 - الجابري (محمد الصالح)، النشاط العلمي، ص.ص (287-288).

138 - المدني، حياة الكفاح، ج1، ص.ص (162-165).

139 - بن قفصية، أضواء ص28.

ومن خيرة من اشتهر في العمل الصحفي خلال هذه الفترة ضمن كوكبة الطلبة الجزائريين الزيتونيين الصحفي عبد الرحمان اليعلاوي، الذي كان تكوينه والتزامه السياسي قد جعله من أنشط الصحفيين خلال العشرينات ومن أبرز المدافعين عن حرية الصحافة، فقد ساهم بمعية محي الدين القليبي والمنصف المنستيري والطاهر الحداد وعثمان الكعك في إعداد تقرير عن وضع الصحافة، تمّ تقديمه إلى اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري في اجتماع عقدته يوم 17 ماي 1923م ليقع اعتماده من قبل صالح فرحات خلال اتصالاته بالعاصمة الفرنسية، وقد طالب هؤلاء بالحرية للصحافة الوطنية الناطقة بالعربية كما رصد نشاط الرابطة القلمية، وذكر أنها كوّنت وفدا قابل الوزير الأكبر وسلمته لائحة احتجاج على خنق حرية الصحافة.

ولقد كتب اليعلاوي العديد من المقالات على أعمدة الصحافة الوطنية بدون إمضاء أو بأسماء مختلفة أشار إليها في يومياته منها (عبد الرحمان اليعلاوي - عماد - بن عباد - المكاتب المتجول - الصريح...)، وقد نشرت خاصة في الصحف التالية، لسان الشعب (43 مقالا) - وجحجوح (11 مقالا) - والأمة - ومرشد الأمة - والمبشر، والنديم، والمثل - وإفريقيا.

وإذا كانت الصحافة في كل شعب هي ترجيع للأصداء المختلفة التي تتجاوب في شتى ميادينها: ومراة صقلية تنعكس فيها الأحداث السياسية والاجتماعية التي تضطرب بها آفاق البلاد في مختلف مراحل نموها وانبعائها، فذلك هو مفهوم مفدي زكريا للصحافة وتلك هي رؤيته لوظيفتها الرائدة في بناء ذاكرة الأمة وتفعيل دورها في المجال الحضاري من هذا المنطلق الواضح راح يبحث في مختلف وقائعها ومراحل تطوراتها وزوايا تاريخها الحافل بالجزائر، حيث استقر بحثه ذلك عن برنامج إذاعي اشتمل على (23) حلقة، تمّ بثها عبر الإذاعة التونسية ما بين سنتي (1959م-1961م).

وأول خطوة لمفدي زكريا في عالم الصحافة كانت مبادرته إلى جانب رفيقه الشاعر رمضان حمود عندما أسس جمعية "الوفاق"، الأدبية التي أصدرت صحيفتها في الفترة ما بين (1925-1930)م في تونس¹⁴⁰ ورغم انشغالاته الوطنية العديدة، فقد ظل مراسلاً وقياً لعدد معتبر من الصحف أو المجلات التونسية بأسماء مستعارة مثل: "الفتى الوطني" و "أبو فراس"، وتميّزت كتابات مفدي زكرياء الصحفية بطابعها الثوري وحماسها الفياض ولغتها الصافية والمباشرة عندما تكون موجهة لجماهير الشعب وطافحة بالتهكم والسخرية اللاذعة عندما تكون موجهة لقوى البطش الاستعماري، «وقد غلب على كتابات مفدي في هذه الفترة المقال الصحفي والتعليق دون إغفال بقية الأجناس الصحفية الأخرى، ويعود سبب ذلك إلى أن مفدي ينزع نحو

¹⁴⁰ - مقابلة مع الأستاذ سليمان الشيخ، بمقر المركز الوطني - الأبيار، الأربعاء 2006/04/05، (09:00 - 09:30)

صحافة الرأي لا صحافة الإثارة، لكن ذلك لا يمنعه من أن يكتب بأسلوب صحفي بليغ طابعه تحريضي وهدفه تعبوي، وسياقه حماسي متمرد».¹⁴¹

وكذلك الكاتب والشاعر الزيتوني محمد العربي¹⁴² أصيل تيهرت الذي لم تستهويه في هذه الفترة ما ينشر في مختلف الصحف من كتابات أدبية يغلب عليها طابع الإثارة والتحريض، ولكنه ترأس تحرير جريدة من أعنى الجرائد الوطنية التونسية وأشدّها صلابة وأكثرها نضالاً، ألا وهي جريدة "صبرة"، التي صدرت سنة 1936م بمدينة القيروان لصاحبها عمر العجرة، وتولى رئاسة تحريرها ثم عطلت في حوادث أبريل 1938م كما شارك العربي في تحرير عدد من الصحف: كالزمان - والزهرة - والبوق - والمباحث..، وقد ساهم قبل ذلك في تحرير عدة صحف تونسية منها: السردوك والسرور، والوطن والعالم العربي، وكان يَمْضِي فصوله باسم "ابن تومرت"، وتعتبر جريدة صبرة التي صدر عددها الأول في 16 مارس 1937م، امتداداً لجريدتي "الشباب" و"السردوك"، فهي نسجت على منوالهما، ذلك أننا نجد فيها نفس الانتقادات الساخرة الموجهة إلى الاستعمار وأذنبه من خلال المقالات والأزجال والصور الكاريكاتورية، من ذلك أنها نشرت صورة تمثال "جول فيري" المنتصب في شارع مدينة تونس الرئيسي تحت عنوان "لو تتحرك التماثيل"، مع التعليق التالي «...» يحل تمثال جول فيري ضعيفاً على حي باب سويقة لكننا نرى جول فيري يسد أنفه من رائحة المشوي والصبي التونسي يفرّ من الصبي الفرنسي قائلاً: تعلمت ياسر خليبي نمشي نشيّت (أمسح الأحذية)، أما تونس فيطغى عليها جو الحارة العربية فتدقّر [تنبأ] للمعمّر قائلة: برحك بالخطر، لعنة الله على ظلم وجرار».¹⁴³

وقد تعطلت جريدة "صبرة"، إثر حوادث 1938/04/09م، مع كافة الصحف الموالية للحزب الدستوري الجديد، وذلك بعد صدور العدد 37 المؤرخ في أول أبريل 1938م، وألقي القبض على رئيس تحريرها محمد العربي، وأودع السجن ثم عادت للظهور بعد احتجاب دام زهاء السنة حيث ظهر العدد الأول من السلسلة الجديدة في 07 جوان 1939م طافحاً بأخبار السجون والمنافي وما تعرض له الدستوريين من اضطهاد وتنكيل بعد حوادث 1938/04/09م، وصدر ضدها قرار جديد بالتعطيل النهائي في 1939/08/25م.

141 - نفسه.

142 - العربي محمد (1917 - 1946)م: ولد بتونس، أصيل تيهرت، تعلّم بالزيتونة، ساهم في الحياة الفكرية شعراً وقصة ومقالة، كما شارك في تحرير عدد من الصحف: صبرة، الزمان، الزهرة، البوق، المباحث، غادر تونس للعمل بإذاعة الكونغو برازيفيل، توفي بباريس مُنتَحَرًا في ظروف غامضة - للاطلاع راجع: - بن صالح (محمد الهادي)، "محمد العربي"، دائرة المعارف التونسية الكراس 03، تونس: 1992م ص.ص (30-37)

143 - صبرة، ع34، تونس: 1938/02/25م.

كما صدرت في تونس جريدة السرور الهزلية برئاسة علي الدوعاجي بالاشتراك مع نخبة من الأدباء والشعراء الشباب كان من بينهم الجزائري محمد المقراني، وقد ظهر العدد الأول يوم 1936/08/30م في ثماني صفحات يحمل العنوان الآتي «السرور جريدة مفاكهة مازحة ومؤنسة» ومن سوء حظها فإنها لم تعمر طويلاً فما إن ظهر العدد العاشر الصادر في 10 أكتوبر 1936م، حتى احتجبت نهائياً.¹⁴⁴

ومن المعلوم أن العريبي بدأ حياته الصحفية بمقال عنوانه "معرض يحيى التركي" ونشره بجريدة الزهرة يوم 1935/01/01م بإمضاء ابن تومرت، ثم واصل بعد ذلك نشاطه فأبدع وامتاز كما قال زين العابدين بإدخاله أسلوب الروبورتاج وقد أعانه في ذلك الأستاذ مصطفى بوشوشة الجزائري الذي كان يمدّه بالصور الشمسية للحوادث الجارية بحيث كوّن رواجاً لجريدته وخلق في البلاد تشوقاً لفنه¹⁴⁵، فمجهود العريبي في إثراء الصحافة بتونس رائد لا يمكن لناكر إنكاره حتى أنه بإمكاننا أن نلاحظ بكل سهولة أنه حاول أن يكتب الجريدة بمفرده (جريدة الزمان 1940-1941)، إثباتاً لكفاءته وتعبيراً عن مقدرته على غرار ما كان يقوم به محمود بيرم بجريدته «الخازوق» و«الشباب» ومن الصدف الغريبة أن يُنهي العريبي رحلته الصحفية سنة (1944م) بتونس حيث بدأ بجريدة "الزهرة"، وقد تعامل أثناء هذه الرحلة مع جلّ المجالات والصحف اليومية والأسبوعية التي كان بها رواج في زمانه... وإذا عرف العريبي الصحافة المكتوبة منذ نشأته فقد أدرك الصحافة المسموعة منذ نشأتها.. فانظم إلى الإذاعة منذ بدايتها إثر خروجه من السجن سنة 1938م، فعمل بها متعاوناً مدة طويلة إضافة إلى عمله كصحفي بجريدتي الزمان ثم الزهرة، فأذاع بعض الأحاديث والأغاني والأزجال وكان العريبي يدبج مقالاته بأربعة إمضاءات كانت على التوالي: العريبي، ابن تومرت، وولد الشيخ، الراوي المهم أن ما عرف من كتاباته الصحفية قد تم حصره في: (15) قصيدة ذات طابع رومانسي (12) أقصوصة (01) أقصوصة مترجمة، (01) فصل من رواية... مترجمة، (06) مسرحيات باللهجة العامية التونسية، (09) أغاني وأزجال، (85) مقالة صحفية في الفن والأدب والسياسة وبعض الروبورتاجات.¹⁴⁶

ولمحمد العيد الجباري¹⁴⁷ عدة أعمال علمية وثقافية وأدبية، نشر البعض منها في عدة جرائد ومجلات تونسية، حيث نشر خلال الفترة (1924-1936)م، أكثر من (20) مقالا منها (12) مقالا في جريدة

144 - محمد الهادي (بن صالح)، "محمد العريبي"، الكراس 03، ص34.

145 - نفسه، ص.ص (34-35)، راجع: حماد الساحلي، فصول في التاريخ، ص262.

146 - نفسه، ص36.

147 - الجباري محمد العيد (1911-1942)م: من أصل جزائري، فهو محمد العيد بن الخليفة بن محمد لحسانة وُلد بعين عبيد بعد أن تعلّم العربية وحفظ القرآن الكريم... انتقل إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة وتحصل على شهادة التطويع سنة 1929، ناضل في الحزب الحر.. حيث تعرض للسجن والنفي بسبب مواقفه النضالية، عيّن في جوان 1936م ككاتب لرئيس جمعية الشبيبة الحرة للدستور

العمل التونسية، وهو يناضل في صفوف الدستور التي كانت سبباً في نفيه الأول إلى الجنوب التونسي، كما نشر الجباري في جريدة الإرادة مقالين بعنوان، "التفنن في الإرهاب" بتاريخ 1934/09/24م بعدها صدر أمر نفيه بتاريخ 1934 /09 /30م، ونشر أيضاً في جريدة تونس قصيدتين أهمهما قصيدة "أيها الشعب" جاءت كلها تنديد بالاستعمار الفرنسي في المغرب العربي.

وقد كان من ميزات الطالب الجزائري أحمد بن ذياب¹⁴⁸ -الذي درس بالزيتونة خلال الفترة (1935- 1938) وتخرج منها متطوعاً - التي فرضها على نفسه زمن تلمذته بالجامع الأعظم أنه كان يكتب في كل أسبوع موضوعاً إنشائياً حراً، وقد أثمرت هذه العملية بشمارها فكان ابتداء من سنة 1937م ينشر البعض منها في جريدة البصائر وفي بعض الجرائد التونسية، وحين ظهر له لأول مرة مقال تناول فيه سلوك التلاميذ المستقيم في قسنطينة والمنحرف في تونس وقعت ضجة عنيفة في أوساط الطلبة الجزائريين¹⁴⁹، حيث انتقد فيه مناهج الزيتونة العقيمة الجامدة التي تُسائر الحياة كما انتقد سلوك الطلبة الزيتونيين الذي يسير من سيئ إلى أسوأ، فرد عليه أحد الطلبة في جريدة الزهرة، إلا أن بعض أساتذته قد نصحه وأقنعه بإهمال شأنه وعدم الرد عليه مراعاةً للمصلحة العامة للطلبة.

وتألق في ميدان الصحافة التونسية خلال هذه الفترة، عدد لا يحصى من الطلاب الجزائريين وهو ما لا تتحمله هذه الدراسة، نشير من بينهم على سبيل الذكر لا الحصر ولا التحديد، محمد الأخضر السايحي¹⁵⁰ الذي نشر شعره ونثره في الصحف الآتية (الزهرة، النهضة، تونس المصورة، الإرادة، الصواب، والزمان .. وغيرها) مع ملازمته لدراسته التي لا يتوان فيها¹⁵¹، ومنهم أيضاً محمد بن الحسين الذي قضى عمره في التحرير في الصحف والمجلات وبالخصوص في الجريدتين اليومييتين الزهرة ثم النهضة، كما ساهم في الإذاعة

الجديد وكانت له تأثيرات في أوساط الطلبة الزيتونيين حيث قاد إضرابات الطلبة (1936-1937)، أسس سنة 1937 جمعية شبيبة شمال إفريقيا الموحدة، وله عدة أعمال علمية وثقافية وأدبية كالفرايد في العلم والأدب (1936م) وديوان اللهب. - للإطلاع راجع: - هلال (عمار)، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954م، الجزائر: دار هومة، 2004م، ص.ص (158-161).

¹⁴⁸ - بن ذياب (أحمد): من مواليد 1914/6/4، بالقنطرة بيسكرة، انتقل إلى قسنطينة حيث تلمذ على يد الشيخ ابن باديس ومنها إلى جامع الزيتونة، نشر جلّ مقالاته في جريدة البصائر وفي بعض الصحف التونسية، تولى إدارة عدة مدارس تابعة للجمعية، عيّن بعد الاستقلال أستاذاً ثانوياً، من مؤلفاته رواية الأب والأم، صحائف من التراث، وبحوث تاريخية...

¹⁴⁹ - ظهر في عديد من جريدة البصائر، (ع92، 1937/12/24)، (ع94، 1938/01/07)، وعنوانه «..ما أنت إلا مجموع عادات تمشي على الأرض».

¹⁵⁰ - السايحي محمد الأخضر (1918-؟): من مواليد قرية العلية بتقرت، وبها تعلّم ونشأ، التحق بعدها بمعهد الحياة بالقرارة سنة

1933 حيث تلمذ على يد الشيخ بيوض، وفي عام 1935م توجه إلى جامع الزيتونة، وكان له نشاط سياسي بتونس، انتهت بسجنه، وبعد الاستقلال جمع بين التعليم والعمل في الإذاعة حيث قدم لفترة طويلة برنامجاً إذاعياً بعنوان ألوان، من مؤلفاته، همسات وصرخات (شعر) جمر ورماد (شعر)، ألوان بلا تلوين (نكت)، وكان عضواً في إتحاد الكتاب الجزائريين...

¹⁵¹ - فضلاء (محمد الحسن)، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، الجزائر: دار هومة، 2000م، ص.141.

بأحاديثه الصباحية الشبيقة، وتولى أيضا التحرير في مجلة (الجامعة) التي صدرت في جويلية 1937م، للجمع بين الفكر الزيتوني، والفكر الصادقي، وقد ضمت هيئة تحريرها إلى جانب محمد بن الحسين؛ جزائري آخر هو صلاح الدين بوشوشة.¹⁵²

ومنهم أيضا الطالب حماني أحمد¹⁵³ الذي قال عنه نفسه «...كانت البصائر تنشر لي سلسلة مقالات بعنوان "حديث المتحول" أتناول فيه ماضي وتاريخ كل مدينة أنزل فيها، ونشرت لي حديث اجتماع جمعية العلماء، ثم اتصلت بجريدة الإرادة وبالصحفي القدير محمد المنصف المنستيري رئيس تحريرها فاستفدت من توجيهه ونشر لي عدة مقالات رنانة منها مقال بمناسبة محاكمة الشيخ العقبي تحت عنوان "صراع ثلاث سنوات" ومنها مقارن بين شخصية (م، ميو) مدير الشؤون الأهلية وشخصية الشيخ ابن باديس، وكتب الطالب الصادق حماني¹⁵⁴ عدة مقالات في الصحف التونسية وأعجبت البصائر بما نشرنا ونوهت به في بعض أعدادها تحت عنوان "الجزائر في الصحف التونسية"، وبسبب مقالاتي في الجرائد التونسية، بحث عني رجال إدارة الشؤون الأهلية وتتبعوني بسبب نشاطي الصحفي بتونس، لكنهم لم يعثروا علي، إذ لم أكن أمضيها باسمي ولكن أمضيها باسمي المستعار الذي كان يعرفه أصدقائي ويعرفه الشيخ ابن باديس وهو الذي لقبني به (العيشاوي)، ومما كنت أقوم به خلال فترة الثورة من أعمال فقد كنت أنشر في الصحف الخارجية التي كانت ترسل إلى الشيخان شيان¹⁵⁵ وعلي مرحوم لتنتشر في الصحف السيارة مثل جريدة "الصباح" بتونس بامضاء "رشيد"...».¹⁵⁶

152 - حمادي (الساحلي)، تراجم، ص378.

153 - حماني (أحمد)، (1915 - 1999)م، ولد يوم 1915/09/06 بدوار تمنجرت من بلدية العنصر (جيجل)، تعلم في كتاب القرية ثم التحق بكتاب سيدي محمد النجار، ثم التحق بطلبة الجامع الأخضر عام (1931) ثم بجامع الزيتونة عام 1934م، بجانب دراسته بمعهد الخلدونية فنال شهادة التحصيل عام 1940م وشهادة العالمية عام 1943م، وبعد عودته إلى الجزائر دعي إلى مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، ثم أستاذاً بمعهد ابن باديس عام 1956م، وبعد 1957م تفرغ إلى العمل الثوري في الجبهة ألقى عليه القبض وحُضِعَ لألوان من التعذيب ليحكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة 15 عام، بعد الاستقلال تولى التفتيش العام للغة العربية (1962 - 1963)م؛ ثم أستاذاً في معهد الدراسات العربية بجامعة الجزائر (1964 - 1973)م ليتولى عام 1973م رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى له مؤلفات عديدة منها: صراع بين السنة والبدعة.

154 - حماني الصادق (1915 - 1983)م، من مواليد 1915 / 07 بدوار تمنجرت من بلدية العنصر (جيجل)، التحق بجامع الزيتونة عام 1934م ونال منه شهادة الأهلية، بدأ التعليم في مسقط رأسه وتولى إدارة مدارس عديدة في ربوع الوطن، عين بعد الاستقلال أستاذاً في دار المعلمين بقسنطينة وغيرها من المناصب التعليمية، ألّف كتاباً في التعليم الابتدائي في ثلاثة أجزاء بعنوان العربية لغتي.

155 - شيان (عبد الرحمان)، (1918): ولد في قرية الشرفة (البويرة) يوم 1918/02/23م، تلقى تعليمه الابتدائي في الزاوية السحنونية هاجر إلى تونس سنة 1938م، لكنه انقطع عن الدراسة بسبب الحرب، ولم يستأنفها إلا في سنة 1943م، ترأس بتونس اللجنة الأدبية في جمعية الطلبة الجزائريين كما تولى رئاستها عام 1947م، وهو العام الذي نال فيه شهادة التحصيل، بعدها عاد إلى الجزائر

3- النضال الصحفي في الصحافة التونسية خلال الفترة (1946-1956)م.

إن هذه المساهمات الصحفية للطلبة الجزائريين بتونس يبدو أنها قد تطورت باطراد بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد تضاعف حجم البعثات الطلابية الجزائرية إلى تونس في فترات لاحقة، ونمو الوعي السياسي ودخول الكفاح الجزائري ضد المستعمر الفرنسي طوراً جديداً من المواجهة المباشرة، ومع إطلالة الخمسينات أخذت معظم الصحف والمجلات التونسية وفي مقدمتها (الأسبوع) والزيتونة، والندوة والفكر، والعمل وال صباح، واللغات، وغيرها تتوج بالأسماء الجديدة وبالمواهب المختلفة التي لفتت إليها الأنظار، وشدت الأسماع في المحافل الأدبية والفكرية أسماء لا تدخل تحت طائلة التحديد والحصر، بعضها يكتب لمأماً، وسرعان ما كان يتوارى كالشهاب النير بعد مقالة أو مقالات قليلة، وبعضها الآخر ثبت في الساحة الأدبية والفكرية وأصبح حديث النوادي، وكان نشاطه ملاً الصحافة، وملاً الساحة الأدبية والسياسية.

وهكذا لم تكن المرحلة الأولى منطلقاً لعمل صحفي وطني جزائري تونسي فحسب ولكنها كانت طوراً جديداً من أطوار الصحافة المناضلة التي تخلت عن اتجاهها السابق المتمثل في اهتمامها الواسع بالأخبار الخارجية، ودعوتها الذائبة للتضامن الإسلامي وحزنها المستمر على سقوط الخلافة العثمانية، مولية كل جهدها وعنايتها إلى الأوضاع الداخلية وترتيب الصفوف، وتبصير الشعب بحالته الراهنة وبما يجب عليه القيام به من عمل للخروج من وضعية الهون والدون، وبسبب هذه الروح الجديدة التي برزت فيها هذه الصحافة كان إقبال القراء التونسيين والجزائريين عليها إقبالا مشجعاً، فقد رأوا أن الواجب يملئ عليهم بأن يتخلوا عن قراءة الصحف القديمة التي كانت لا تكف -بحسن نية- عن توجيه الأنظار إلى الأفاق الخارجية، ومعالجة المشاكل العامة التي لا تمس حياة المواطن في شيء عن حاجياته الملحة وقضاياه المحلية الأكيدة.

لقد انطوت الصحافة التونسية على تراث زاخر مما أنتجه الصحفيون الجزائريون، فقد ضمت صفحاتها كتابات هامة تؤرخ لتطور الحركة العلمية والفكرية وتقدم حولها صورة مشرفة، وإن الرجوع إلى هذه الصحف كمصدر أساسي يأخذ أهمية أكبر بداية من الثلاثينات إلى حين استقلال الجزائريين نجد عدداً وافراً من الأعمال الإبداعية والإنشائية والمقالات السياسية التي تشير إلى كتابات هذا الجيل الذي أصبح فيما

ليستأنف التدريس بالمعهد في 1948/09م، حيث كان عضواً في لجنة التعليم العليا وكان من أوائل من لى نداء الثورة هاجر إلى تونس عن طريق جبهة التحرير حيث كان من محرري جريدة المقاومة الجزائرية ومسئولاً على البعثة التعليمية في تونس وليبيا.. بعد الاستقلال أصبح نائباً في المجلس التأسيسي الوطني الجزائري (1962-1964)م، ثم عين مفتشاً عاماً بوزارة التربية وكان أول من سعى في دمج المعلمين الأحرار في الوظيفة العمومي عام 1964م، وفي عام 1980م عين وزيراً للشؤون الدينية إلى غاية 1986م، ساهم في تجديد نشاط جمعية العلماء سنة 1991م، ليصبح رئيسها منذ عام 1999م.

156 - حماني (أحمد)، شهداء علماء معهد بن باديس، الجزائر: قصر الكتاب، 2004م، ص.ص (48-78).

بعد عماد الحركة الأدبية والفكرية في الجزائر¹⁵⁷، إن نشاط الطلبة الجزائريين بتونس لم يقتصر على الدراسة بالمعاهد التونسية وعلى الخصوص جامع الزيتونة، ثم القيام بنشاط مماثل في الجزائر، ولكنه كان نشاطاً زاحراً متعدد الأغراض مختلف الوسائل مما جعله يفضي إلى النتيجة المرجّاة ألا وهي تحقيق حرية، وتأكيد هويتها العربية الإسلامية، وعلى صفحات الجرائد التونسية لمعت أسماء العديد من الطلبة في مجال كتابة المقالة السياسية والثورية والإبداعية، وقد برز من هذه الأسماء بالإضافة إلى عبد الله شريط، محمد الميلي، ومفدي زكريا، يحي بوعزيز عبد الرحمان شيبان، محمد الصالح الصديق، عبد الله ركيبي، أبو القاسم سعد الله، الجنيد خليفة الطاهر وطار... وغيرهم عدد آخر لا يدخل تحت الحصر من كتاب القصة والشعر والمقالة الأدبية.

وإذا كان من العسير الإحاطة بكل المقالات والكتابات الصحفية التي تكاد تتشابه خلال فترة الأربعينات والخمسينات خصوصاً، فإنه من المناسب الإشارة إلى أن هذا النوع من الكتابات التحريضية والاستنهاضية ساهم مساهمة جليلة في تعضيد الحركة الوطنية الجزائرية ثم الثورة المسلحة والتعريف بها ونشر أخبارها وأخبار الجهاد الشعبي الشامل، ورغم طابع الحماس والنخوة والانفعال الذي يسيطر على هذه الكتابات بحكم العوامل النفسية المعروفة في مثل هذه الحالة، فإنها تعد إحدى الوثائق البارزة التي تقدم صورة عن نشاط الطلبة الجزائريين المهاجرين... ووجهاً من وجوه تصديهم للاستعمار، واندماجهم في المقاومة المسلحة، التي أعطوها من روحهم الوثابة الشيء الكثير، فما إن أطلت الثورة الجزائرية حتى وجدت بالانتظار جيلاً من المقاومين الأوفياء بالفكر والساعد... فكان هؤلاء صوّمها الجهير وأداة إعلامها والمخاور الكفاء الذي كان يتصدى للصحف الاستعمارية المسمومة، ويقدم للرأي العام الحقائق التي تحاول هذه الصحافة تشويهها وإخفائها.

فمولود قاسم نايت بلقاسم كان وهو طالب بالزيتونة يشارك بالكتابة في جريدة "المغرب العربي" الناطقة آنذاك باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي كان يرأس تحريرها محمد السعيد الزاهري، كما كان يساهم أحياناً بكتابات في مجلة "المنار" الفتية التي كان يرأسها الأستاذ "محمود بوزوزو"، وجريدة لسان العرب التونسية فيما بين (1947 - 1949)م أي خلال تلمذته بالجامع الأعظم.¹⁵⁸

¹⁵⁷ - عن دعم الصحافة التونسية للحركة الوطنية الجزائرية وخصوصاً أثناء الثورة المسلحة يطالع الملفان الآتيان:

* Institut supérieur d'Histoire du Mouvement National (Tunis), A.N.O.M, Bob A57, C26 H8, Dossier 2, "Guerre d'Algérie à Traver la presse Tunisienne".

* Institut supérieur d'Histoire du Mouvement National (Tunis), A.N.O.M, Bob A58, C26 H9, Dossier 2, "Guerre d'Algérie" date (10/1957, 12/1957), N, p (199)".

¹⁵⁸ - بن نعمان (أحمد)، مولود قاسم نايت بلقاسم، ط2، الجزائر: در الأمة، 1997م، ص22.

ومنذ سنة 1948م بدأ الطالب محمد الصالح الصديق (1946- 1951)م ينشر في الصحف التونسية بعض القصص والمقالات القصيرة وألّف عام 1951م - سنة تخرجه - كتاب أدباء التحصيل من أربعة أجزاء طبع منه جزآن¹⁵⁹، كما أنه تابع نشاطه الصحفي بها فيما بعد عندما التحق بتونس عام (1956)م عن طريق باريس، أين كان يعمل في إطار مصلحة الصحافة والإعلام لجهة التحرير الوطني¹⁶⁰، يقول الأستاذ محمد الصالح الصديق عن إسهاماته الصحفية: «..كنت الوحيد من ضمن زملائي الطلبة الجزائريين الذي كان يداوم وباستمرار على الكتابة في الصحافة التونسية فنشرت لي "صوت الطالب الزيتونية" عدة مقالات متنوعة الجوانب منها مقالات في الأخلاق والروحانيات.. كما نشرت لي مجلة "وحي الشباب" مقالا واحداً، والطابع العام لمقالاتي هو الرؤية الأدبية المحضة في تناول قضايا المجتمع والعالم الإسلامي والتشريع الإسلامي والمعاملات الأخلاقية (جمعتها في كتاب سمّيته أدباء التحصيل)، كناية على شهادة التحصيل الزيتونية حيث أدرجت فيه جملة من تراجم الأشخاص درست حياتهم الشخصية والأدبية والملاحظ أن جامع الزيتونة قلما شهد طالباً زيتونياً ألّف كتاباً وهو لا يزال يدرس في المرحلة الابتدائية...»¹⁶¹ وفي سياق عمله الصحفي بتونس نشر أيضاً في مجلة وحي الشباب التي كان لا يكتب فيها إلا الأستاذة.. وكان أول مقال لي فيها بعنوان "التفأل والتشاؤم" وقد أثار حينها ردود فعل في أوساط الطلبة «ومن شدة إعجابهم بما كتبت كان الطلبة الزيتونيون عموماً يقولون لي دوماً "لقد بيّضت وجوهنا" أما عن ردود زملائي من الجزائريين فقد لقيت من بعضهم العنت والصدود، وفيهم أيضاً من كان يرمقني بعين الحسد والبغض.. ولم أكن أبالي بهم..»¹⁶²

وقد أتاح وجود الطالب الطاهر بن عيشة¹⁶³ بالعاصمة الجزائرية أن يستأنف مغامرته الصحفية التي بدأها بتونس غداة الحرب العالمية الثانية، بالكتابة في بعض نشراتها كمجلة النهضة التونسية.. وكان ذلك من خلال صحيفة عصا موسى لصاحبها السعيد الزاهري.¹⁶⁴

كما كان الطالب أبو القاسم سعد الله 1930 م يُدبج مقالاته وأشعاره خصوصاً المنشورة منها في جريدة البصائر بأسماء مستعارة كإبراهيم الحمداي أو رشيد الخوري أو بلقاسم القماري، ومن الملفت أنه كان يُوظف هذه الألقاب ليتنقد نفسه بنفسه، كتنقده لنفسه فيما يتعلق بمقال "أرض الملاحم"، الذي نشره بالبصائر¹⁶⁵، تحت اسم مستعار هو إبراهيم الحمداي؛ يقول عن نفسه في ذلك «كشباب كنا نتنافس في تحرير الإنشاء الأدبي لشيوخنا الذين يكلفوننا بهذه الأعمال كجزء من فروض الدراسة دون الشعور بأنني شخصياً كنت أختلف عن أمثالي من الطلبة التونسيين، فكان التنافس شديداً بيني وبين أحدهم (؟)، الذي كان أيضاً يحب الأدب الحديث.. وقد أضاف ظهور مجلة الندوة التي تسير في ركاب الحداثة ومجلات أخرى قصيرة الأجل

159 - تونس: دار الكتب العربية، 1951م.

160 - بوعزيز (بجي)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الخروسة، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995م، ص317.

161 - مقابلة مع الأستاذ محمد الصالح الصديق: حي بن غمار (القبة) فيلا 339 - الجزائر، 2006/04/04م، 5:00-17:00.

162 - نفسه.

163 - بن عيشة (طاهر)، (1925م)، ولد بقمار، وبعد نشأة تقليدية بمسقط رأسه توجت بختم القرآن الكريم، انتقل سنة 1942 إلى تونس لاستكمال الدراسة بجامعة الزيتونة، احتك قبل 1950م، بالأفكار الوطنية التحررية بفضل عناصر جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، حاض بالعاصمة ابتداءً من 1950م تجربة التأليف المسرحي كما تقرب من الحزب الشيوعي الجزائري، مع اندلاع الثورة التحق بالحادية جبهة التحرير بفرنسا ثم بتونس، وبعد الاستقلال استأنف مشواره الإعلامي عبر الإذاعة والتلفزيون.

164 - - عباس (محمد)، مثقفون في ركاب الثورة، ج2، الجزائر: دار هومة، 2004م، ص73.

165 - ع 264، الجزائر: 1954/03/26م.

مثل مجلة المعارف ... شيئاً جديداً إلى اهتماماتي الأدبية.. وقد نشرت شخصياً بعض أعمالي المبكرة بتوقيع (عضو رابطة القلم الجديد)، في بعض الصحف التونسية فأذكر أنني نشرت في النهضة بعض المحاولات وهي لا تستحق الذكر هنا لأن الجريدة نفسها كانت تختصر ما أرسله إليها أو تنشره ربما تشجيعاً لي فقط بل كانت تخطئ في الاسم نفسه، كما نشرت في مجلة المعارف وفي جريدة الأسبوع، ولا أدري إن كنت قد نشرت في جريدة (الزهرة)، وهي جريدة عريقة، فقد طال العهد ولم أكن أجمع أو أحتفظ بنسخ مما كنت أرسله إلى هذه الجرائد...»¹⁶⁶.

ومن إصدارات جبهة التحرير الوطني بتونس صحيفة "المقاومة" التي سبقت صدور جريدة "المجاهد". وكانت المقاومة تصدر باللسانين العربي والفرنسي، وبالنظر إلى قائمة محرريها نجدتها تكاد تكون زيتونية، فمن محرريها مثلاً إبراهيم مزهودي محمد الميلي، عبد الله شريط، الأمين بشيشي، عبد الرحمان شيبان، عبد الرحمان شريط، عيسى مسعودي محمد الصالح الصديق¹⁶⁷، وكلهم خريجي الجامع الأعظم، ويروي محمد الصالح الصديق موضوع التحاقه بميثمة تحرير جريدة المقاومة قائلاً: «لما جاء الأخ علي محساس إلى تونس واتصل بي، وبعد محادثة قصيرة اقترح علي أن أعمل في الصحافة في قسم اللغة العربية وأخذني في الحال إلى الإدارة فقدمني إلى الإخوة أعضاء المكتب العربي، حيث ظللت محرراً في (جريدة المقاومة)، ومن أوائل سبتمبر 1956م إلى غاية شهر أوت 1957م، حيث تجددت ضمن فرق جبهة التحرير الوطني التي فتحت الواجهة في الصحراء دخولا من فزان والإقامة بتوات»¹⁶⁸.

وعندما لجأ عبد الرحمان شيبان إلى تونس عام 1956م عن طريق جبهة التحرير الوطني أصبح من أسرة تحرير (المقاومة الجزائرية) التي كانت تصنف وتوزع انطلاقاً من تونس، وكان لشيبان باب خاص فيها بعنوان (صفحات خالدة من الإسلام) حيث كان يقارن بين غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وثورة الجزائر، وفي تونس دائماً أشرف على إصدار مجلة الشباب الجزائري والتي قصد من خلالها تثقيف وتوجيه الشباب الجزائري اللاجئ في تونس، إضافة إلى أنه كان يشرف على أنشطة الشباب المختلفة كالكشفافة والرياضة والموسيقى والتمثيل¹⁶⁹، كما قام الطلبة المنضوين في إطار اللجنة الكشفية الجزائرية بدعم مجلة الشباب الجزائري التي صدر منها إحدى عشرة عدداً¹⁷⁰.

¹⁶⁶ - مقابلة مع الأستاذ أبو القاسم سعد الله، بمقر المركز الوطني (ل. ب. ث. ج. و ث أول نوفمبر) - الأبيار - الجزائر

2006/04/05م، 09:30 - 12:00.

¹⁶⁷ - Hassani (Abdelkrim), Guérilla sans visage, Alger: O.P.U, 1988, PP(26- 54).

¹⁶⁸ - مقابلة مع الأستاذ محمد الصالح الصديق.

¹⁶⁹ - فضلاء، أعلام الإصلاح، ج2، ص.ص(84- 85).

¹⁷⁰ - لبزة (محمد الصغير)، "الكشفافة وحيش التحرير"، الكشفافة الإسلامية الجزائرية، الجزائر: دار هومة، 1999م، ص73.